الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات الخطاب

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر

الموسومة بـ:

التناسب في القرآن الكريم عند جلال الدين السيوطي -كتاب الاتقان أنموذجا-

إعداد الطالبة:

– شنافي سمية.

– إشراف الدكتور:

– كراش بخولة.

أعضاء لجنة المناقشة:

– د. ..... رئيسا.

– د. كراش بخولة ..... مشرفا مقررا.

– د. ..... عضوا مناقشا.

السنة الجامعية: 1440– 1441هـ/ 2019– 2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الحمد أولا وآخرا على منه علينا بأن أتتمنا هدا العمل المتواضع

والشكر للوالدين الكريمين على مساندتهم لي مد أن فتحت عيناي في هده الحياة

الى يومنا هدا تشجيعا وتحفيزا للمواصلة والاجتهاد فببركة دعواتهم التي تحفني

وصلت الى ما أنا عليه اليوم.

والشكر الى كل اساتذة الأفاضل من الابتدائية الى المرحلة الجامعية على رأسهم

قدوتي الاستاد سبع مرسلي والاستاد عدة وخاصة استادي سبايس رحمة الله عليه

من لقبني بناصرة النبي صلى الله عليه وسلم فلا زال اللقب يقيم إعوجاجي وشهادة

أعتز بها الى أن يتوفاني الله عزوجل

والشكر الخالص للأستاذ كراش بخولة على قبوله الاشراف على مدكرتي بالاضافة

الى الأستاد صالح غربي على توجهيه وسعيه معنا أسأل الله عزوجل أن يكافئهم بما

هو أهلا له.

والشكر للأخ محمد عبو لوقفه على قدم وساق لطباعة هذه المذكرة.والأستاذ محمد

عويمر على دعمه مذ أول وطأة في المصلى ماديا ومعنويا جزاه الله كل خير ونفع به

وبذريته..

وأتقدم بأصدق دعوات الخير لكل من وقف بجانبي خلال هاته المسيرة من قريب

أو بعيد سواء مساندا أو مثبطا.

إهـــداء

إلى الروح التي تخالط روحي والنور الذي أضاء حياتي منذ أول سجدة فيه وبركة أيامي وحلاوته وكل أمر جميل في حياتي

نبضي بسمتي سعادتي ومن لا أتصور عمري دون تربعي في حلقاته ومجالسة أهله وعلمائه

الى من علمني أن الحياة ساعة وإما أن يكون لك فيه أثر يذكر في رحاب طاعتك لله أو أنك في عداد الموت وأنت لا تدري

الى من علمني أن النخل من الدعوى الى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمن الفتن أنما هو ذل جعل أمتنا في حضيض الأمم

الى من جعل نبضات القلب دقاتها حبا في الله لإخوة الإيمان وهمها رفع راية الاسلام ونصرة النبي العدنان و تعليم كتاب الله وسحب كل تائه لطريق الله

الى من علمني أن أنهض بعد كل سقوط بكل ما أوتيت من قوة وكأني لم أتعثر أبدا وأترك ضعفي بيني وبين خالقي وقوتي ظاهرة و ابتسامتي تزين طلعتي وفي داخلي إنكساراا لربي من شدت ألمي

إلى من علمني أن أبواب رحمة ربي مفتوحة دائمة ولا أقنط من ربي مهما بلغ ذنبي فاسيقبلني

الى من علمني الصبر والحلم وإن لا أنتصر لنفسي أبدا وأن أكون صديقة قبل أن أكون قائدة وأن أكون أما قبل أن اكون داعية

الى من علمني أن الدعوى تسهيلا وتيسير وحضنا وفراسة قبل أن تكون تشدد وترهيب

الى من علمني أن سنواتي التي كانت قبل دخوله لم تكن شيء مذكورا وإن سألت كم عمري لقلت خمسة سنوات بثوانيها و دقائقها وساعاتها

الى من خجل الحبر من أن يوفيه حقه و يتمم لكم وصفه ولو كتبت كل داوين الشعر والنثر في مدحه لكان ذلك كقطرة ماء في بحر مما علمني إياه

الى محلى خديجة أم المؤمنين الاقامة الجامعية أسيا كبير تيارت

الذي أستودعه الله الذي لا تضيع ودائعه وأسأل الله عز وجل أن يحفظه بحفظه ويرسل أليه فرسان حق وصدق أحرص منا عليه داعيات قانتات صادقات يعلين راية الحق ولا يخافون في الله لومة لائم

إهـــداء

إلى التي حملتني وهن على وهن منبع الحنان أمي

إلى سندي إلى الأعلى ومحفزي وكل أمر جميل في حياتي نور عيني والدي الكريم وأبي الثاني مختيش والى كل عائلة شنافي ومرزق.

إلى شقيقي العزيز الذي وقف بجانبي ماديا ومعنويا زكرياء وأخي الغالي طاهر

إلى أخواتي الكريمات زينب أسماء حورية شيماء سورية فاطمة نهلة خديجة تسنيم هدى دكتورتنا مريومة ودلوعتنا كوثر

إلى أكسجين الحياة فراشة البيت ابنة أختي لجين آية الرحمن.

إلى قدوتي وأمي الثانية الأم الروحانية الداعية والأستاذة خليل بدرة.

إلى الأب الروحاني الأستاذ عبد الحق جواق جزاه الله كل خير عنا.

إلى أسرة الكشافة الاسلامية على مستوى الوطن على رأسهم فوج محمد بوراس حمادية وقسم غيث للبنات وكل خاتمي ومؤطري واداري مخيمات النهضة بالقرآن الكريم وكل من حمل هم الاسلام والدعوة إليه.

صدق من قال الأخوة في الله روحا واحدة في أجسادا متفرقة الى قطعات قلبي وأخواتي التي لم تنجبهم أمي بنات مصلى خديجة أم المؤمنين.

قدوتي زينوبة قارئتنا زهرة حكيمتنا حسينة جميلتنا رزيقة فرولتي آسية صاحبة القلب الأبيض خيرة المنظمه حياة مجموعة أحباب الله على رأسهم فتيحة الهادئة توت والغالية ليلى وابنتي حياة هب والحبية شريفة والتوأم أمينة وسهام، جميلة صاحبة الإبتسامة الدائمة، كريمة، حبيبة قلبي بسمة وصبرينال ، الطيوبة كريمة،المحلقة مريم، وئام، وختامها مسك مع الروح التي تسكن روحي نعومي أسال الله أن يرزقها جوار مكة يارب

إلى كل عمال وعاملات وطالبات الاقامة الجامعية آسيا كبير تيارت على رأسهم مسؤولة النشاطات أختنا نصيرة والحبيبة المختارية وخيرة إيواء وعمي مسلم وعمي مصطفى

إلى أحفاد مصلى خديجة أم المؤمنين سيرين نرمين رهف عبد المالك عبد الجبار عبد المعز أمين فاطمة الزهراء

إلى كل من تحملهم ذاكرتي ولم تسعنا مذكرتي لذكرهم **أحبكم في الله**

سمية

مقدمة

الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه حمدا يوافي نعمه ويبعد نقمه حمدا يليق بكتابه العظيم الذي أعجز العقول بتناسب آياته وتناسق سوره وحير العلماء والبلغاء ببيانه ونظمه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعلنا خير أمة أخرجت للأمم نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وأشهد أن محمد عبده ورسوله المبعوث من أكرم الشعوب الى خير الأمم الذي أوتي جوامع الكلم فكان أفصح العرب لسانا وأكرمهم منطقا وبيانا المبعوث رحمة للعالمين وهداية للضالين صلى الله عليه وسلم تسليما.

وبعد فإن أجل العلوم وأوقرها وأقربها لمن أراد القرب من جنة الدنيا والآخرة هو علما يبحث في كتاب الله ويهفو للكشف عن أسراره والتطلع للاستنباط من فوائده المنثورة والانتفاع من فيض علمه وقبس هداه ولعله ما يميز كتاب الله عن بقية الكتب هو إعجاز بيانه وتناسب آياته وسوره بل حتى حركاته وكلماته كانت في غاية التناسب وفي موقعها المناسب تماما لما وضعت له ولو غيرت عن موضعها لاختل الكلام وذهب رونقه وجماله فبهت لهذا الحال الجاحد الناكر لإعجاز القرآن وتلعثم كل فصيحا بليغا يريد أن يأتي بمثله.

وهذا ما جعل الدارسين والباحثين على مر الأزمنة للعكوف على كتاب الله لمعرفة فنونه واستخراج حكمه والوقوف على عجائبه و غرائبه والنهل من فيض علومه واستقصاء ظواهر ترابطه وتناسب تراكيبه والبحث في بدائعه التي تَأُز روح القارئ أزا، ولن يهدأ له ساكنا حتى يروي روحه من هذا الجمال الرباني والفن البلاغي.

ومن بين أبرز الأسباب التي دفعتني لتوجه نحو هذا النور الرباني:

الرغبة الشديدة للاستفادة وتدبر كتاب الله والبحث في أسرار ترتيبه وتناسب آياته وسوره واستكشاف جمالية ترابط النص القرآني وإعجازه البياني.

وإن أحصد الحسنين بتعلم كتاب الله وتعليمه وأن يكون هذا البحث صدقة جارية على من آثروا جوار الله عز وجل جدتي مسعودة قلوت وأستاذي الحاج سبايس رحمة الله عليه وجميع موتى المسلمين والمسلمات وكل من حوتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

ومن هنا وقع اختياري على دراسة التناسب في النص القرآن الكريم لأنه يمثل جزء أساسيا في أسلوب النص القرآني لما له أهمية بالغة في دراسة آي القرآن الكريم وسوره ولفت انتباه كتاب الاتقان في علوم القرآن للعلامة جلال دين السيوطي لأنه من بين أهم أمهات الكتب الجامعة والملمة بأسرار كتاب الله من كل الجوانب وحاولت جاهدة لاستخراج المفردة القرآنية في حلتها البلاغية من الناحية التركيبية وأصور لطائفها من الناحية البديعية ومن هنا تم عنونة البحث بالتناسب في النص القرآن الكريم كتاب الاتقان أنموذجا سائلة الله عزو جل التوفيق.

ومن خلال محطات البحث تم استعمال مصطلح التناسب من الناحية التركيبة ودلالته البلاغية في البدائع و أثره في تماسك النص القرآني.

فما دور التناسب من الناحية التركيبية؟ وهل الباحث يستطيع الكشف عن أسرار القرآن الكريم وحل شفراته؟.

من خلال التناسب وفيما تكمن وظائفه في استخراج بدائع القرآن الكريم و كيف سلط الضوء جلال الدين السيوطي على علم المناسبة في الخطاب بقرآني من خلال كتابه الاتقان.

ومن أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها في إنجاز بحثنا نذكر أهمها:

-كتاب الاتقان في علوم القرآن الكريم لجلال الدين السيوطي، وكتاب البرهان للزركشي، كما اعتمدنا على كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبقاعي، وبعض التفاسير أهمها الكشاف والبحر المحيط.

وللإجابة على هذه الاشكاليات اعتمدت الخطة التالية:

مقدمة زائد مدخل وفيه تطرقت لشرح مفهوم القرآن الكريم والتناسب وبعدها الكشف عن بعض الغموض في معرفة ما إن كان ترتيب سور القرآن الكريم توفيقيا أو

اجتهاديا ولتكمل الافادة لابد من معرفة أهمية هذه المادة العلمية وقسمت البحث الى فصلين.

الفصل الأول تناولنا فيه التناسب في التراكيب في النص القرآني الكريم وذلك وفق خمسة مباحث بين من خلالهم ميزة كل تركيب وسياقته الدلالية.

ثم جاء الفصل الثاني معنون بالتناسب في بدائع القرآن الكريم فتطرقت من خلالها لدراسة جمالية البديع وما يضفيه من سحر ورونق لشد القارئ وزيادة لهفته لتدبر كلام الله وختمت الفصل الثاني ببعض من نماذج التناسب بين سور القرآن الكريم وفي وقفاتي مع كلا الفصلين اتبعت المنهج الوصفي التحليلي وذلك بدمج الجزء النظري والتطبيقي معا وكان ختاما خلاصة النتائج المتوصل.

ولا نجزم بأننا السابقون الى هذه الدراسة بل قد سبقونا أشواط قبلنا الباحثين لتشعب المواضيع في التناسب ومن بين الرسالات المتقاربة مع بحثنا:

التناسب السياقي ومستوياته في تفسير التحرير والتنوير في تفسير ابن عاشور إعداد الطالبة فضيلة عظيمي رسالة دكتورة وقد خصها بالبحث في تفسير ابن عاشور ومنهم من توجه في دراسته لأثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآن إعداد الباحث محمد عامر محمد رسالة دكتوراه بالإضافة إلى بعض رسالات الماستر التي لم تخرج من إطار دراسة التناسب في الوحدة الموضوعية لسور أو بعض السور وعلاقتها فيما بينها منهم:

تناسب في النص القرآني الكريم نماذج مختارة.

التناسب في القرآن الكريم سورة الطارق أنموذجا.

ولعل ما يميز دراستنا عن سابقيها أنه مكنت التناسب إن يتوسع من مدلوله الذي يبين الظواهر والعلاقات بين السور والآيات إلى مجال أعم وأوسع وهو البحث في التناسب من الناحية التركيبة والبديعية في النص القرآني الكريم وما زاد البحث تحدي هو خوضه في

مضامين كتاب الاتقان مع العلامة جلال الدين السيوطي الذي يعتبر من رواد علم المناسبة.

ولكل جواد كبوة وحلاوة النجاح أن يكون في طريقك بعضا من العراقيل والصعوبات التي تجعلك في كل مرة تزيد إصرارا وإرادة على الكفاح للتتويج بما تريد الوصول إليه.

ومن بين العراقيل التي كانت كحصاة في طريق أجمعها لأصعد بها نحو الفلاح تشعب الموضوع وتنوع الدراسات فيه إضافة لنقص المادة العلمية وانقطاعنا عن المكتبات الى غيرها من المثبطات التى حاولت إن تقف حاجز بيننا وبين إتمام هذا البحث الذي أكرمنا الله عزوجل فيه بأن خصنا بأن يكون كتاب الله موضع الدراسة ومحل الاستشهاد وهذا ما جعل البحث قاصر مهما بلغ الاجتهاد على الاحاطة بأسرار كتاب الله وفهم معانيه.

الحمدلله أولا وآخرا ونسأل الله الإخلاص في القول والعمل والقبول

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

شنافي سمية

جامعة ابن خلدون

بتاريخ: 2020/10/07

مـدخـل

إن القرآن الكريم معجزة الله الخالد، وحجته الباقية، ومنهل العلم والعلوم على مر العصور، فهو الذي أبهر أهل اللغة سحر بيانه وعجيب نظمه، وتناسب آياته وسوره، ومازال الدارسون يتسابقون للكشف عن أسراره، والبحث في غرائبه وعجائبه حتى انقضت أعمارهم ولم تفنى عجائبه ولم تنقضي غرائبه.

كيف لا؟؟؟ وهو كلام الله ومعجزته وهو القائل فيه: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[1].

لغة الضاد كتب لها التمكين والحفظ والتمجيد لأنها لغة القرآن الكريم، فهو الذي نزل بلسان عربي مبين أفحم فحولاء اللغة وجعل الحبر يتساقط خجلا من أن يؤت بحرف مثله وبهت الذي رفعه وتحدى.

وقبل التطرق لمضامين البحث فلابد من التعرض إلى مفهومين يعتبران الحجر الأساسي لهذه المذكرة، إضافة إلى السؤال الذي يَطْرَحُ نفسه في مخيلة كل متدبر ومتأمل لكتاب الله!!!

من وراء هذا الترتيب العجيب للقرآن الكريم؟؟؟

وهل يوجد سر وراء هذا الترتيب؟ وإن كان هذا ترتيب توقيفي أو إنه اجتهادي؟

مفهوم القرآن الكريم:

اختلف العلماء في لفظ القرآن الكريم كونه مهموز، أو غير مهموز.

القرآن لغة:

أصحاب الرأي الأول أنه مصدر قَرَأَ.

وجاء في لسان العرب: قرأه، يقرؤه، ويقرؤه / قرءا. قراءة، قرآنا ... فهو مهموز[2].

والقرء هو الجمع، وسمي القرآن قرآنا لأنه جمع السور والآيات وضمها وجمع العلوم والحكم[3].

---

[1]- سورة يوسف، الآية: 02.

[2]- لسان العرب لابن منظور، مادة: "قَرَأَ".

[3]- إبراهيم محمد الجرمي، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق، ط 1، 1422هـ/2001م، ص 214.

وقال أبو إسحاق النحوي: "سمي كلام الله تعالى الذي أنزله على النبي صلى الله عليه وسلم، كتابا وقرآن، وفرقانا، ومعنى القرآن معنى الجمع ... وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾[1]، "أي جمعه وقراءته"[2].

ونقل السيوطي عن الزجاجي وغيرهم: "... مشتقا من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأتُ الماء في الحوض أي جَمَعتهُ"[3].

وأما أصحاب الرأي الثاني وفيه كذلك رأيان أنه علم غير مشتق وفي ذلك روي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين وكان يقول اسم وليس مهموزا ولم يؤخذ من قرأت ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قُرئَ قرآنا ولكنه اسم للقرآن يهمز قرأت ولا يهمز القُران، ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل"[4]، هذا ما نقله الزركشي في البرهان وقال فيه السيوطي والمختار عندي في هذه المسألة ما نص عليه الشافعي"[5]، وبهذا يتضح أن جلال الدين السيوطي من مؤيدي الرأي الثاني.

والقول بأنه مشتق هو قول الزجاجي، بأنه مشتق من القرء بمعنى الجمع.

وقرأت الشيء قرآنا، جمعته وضممت بعضه إلى بعض ثم سمي به الكلام المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، لجمع السور والآيات فيه"[6].

وجاء في النبأ العظيم: "القرآن الأصل مصدر على وزن فعلان، بالضم كالغفران والشكران والتكلان، تقول قرأته، قرءا وقراءة وقرآن، بمعنى واحد، أي تلوته تلاوة"[7].

---

[1]- سورة القيامة، الآية: 17.

[2]- إبراهيم محمد الجرمي، معجم علوم القرآن، ص 214.

[3]- جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1974، ج 1، ص 182.

[4]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل إبراهيم، ج 1، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ومشركاته، بيروت، لينان، ط 1، 1376هـ-1957م، ص 278.

[5]- المصدر نفسه، ص 278.

[6]- منبرة محمد ناصر الدوسري، أسماء سور القرآن وفضائلها، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط 1، 1426هـ، ص 20.

[7]- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، دار الثقافة، قطر، الدوحة، 1405هـ-1985م، ص 12.

فالمعنى اللغوي وإن اختلف من كونه مشتق أو غير مشتق ومهموز أو غير مهموز فخلاصته الجمع والضم وأنه اسم منزل من الله عز وجل واختاره لكتابه كالإنجيل والتوراة فكان القرآن.

اصطلاحا: المعنى الاصطلاحي لا أظن أنه يختلف فيه اثنان فهو: "كلام الله المعجز، المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته"[1]، المكتوب من "أول سورة الفاتحة إلى سورة الناس"[2]، والمعجز بلفظه وآياته، وقبل أن ننتقل لمفهوم التناسب ... فلابد أن نستهل حديثنا عن ترتيب سور القرآن الكريم إن كان توقيفيا أو اجتهاديا ونوجز الرأيان في نقاط كالتالي:

أ- ترتيب سور القرآن الكريم توقيفيا:

وقد ذكر السيوطي في كتابه أسرار ترتيب سور القرآن: إنه توقيفي تولاه النبي صلى الله عليه وسلم مرتبا السور، كما كان مرتب الآيات على هذا الترتيب الذي لدينا اليوم ..."[3].

ومما يدعم هذا الرأي قول الأنباري "أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فُرقَ في بِضع وعشرين سنة فكانت السورة تنزلُ لأمر يحدث والآية جوابا لمستخير ويقفُ جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع الآية والسورة فاتساق السورة كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن"[4]، فهذا دليل قاطع كما نقله السيوطي في كتابه الاتقان عن الأنباري بأن ترتيب السور إنما كان وحي يوحى ولم يكن اجتهادي ومما يدعم قوله ما نقله الزمخشري عن الكرماني "هو عند الله وفي اللوح المحفوظ وهو على هذا الترتيب"[5].

زيادة على ذلك أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة تدل على أن ترتيب سور القرآن الكريم توقيفيا، روي عن ابن شيبة: أنه صلى الله عليه وسلم كان يجمعا المفصل في ركعة،

---

[1]- محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط 2، 1419-1999، ص 10.

[2]- مبرة محمد ناصر الدوسري، كتاب أسماء سور القرآن وفضائلها، ص 22.

[3]- جلال الدين السيوطي، كتاب أسرار سور القرآن، ج01، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص 05.

[4]- جلال الدين السيوطي، الاتقان، ج 1، ص 217.

[5]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج 1، ص 259.

وروي البخاري عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: "إنهن من العتاق الأول، وهن من تلاوى"[1]، إلى غيرها من الحجج التي دعموا بها رأيهم.

وبهذا ننتقل إلى الرأي الثاني الذي يرى أن ترتيب المصحف إنما كان اجتهادا من الصحابة رضوان الله عليهم:

ومما استدلوا به هو اختلاف الصحابة في ترتيب مصاحفهم "اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور"[2]، فمنهم من رتبها على النزول، وهو مصحف علي كان أوله "سورة اقرأ" ثم "المدثر" "فلو كان هذا الترتيب توفيقيا منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم ما صاغ لهم أن يهملوه ويتجاوزوه ويختلفوا فيه ذلك الاختلاف الذي تصوره لنا الروايات، فهذا المصحف أبي بن كعب روى أنه كان مبدوءا بالفاتحة، ثم البقرة، ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام"[3].

ومنهم من جمعوا الرأيان بأن بعض سور القرآن الكريم مرتبا توفيقيا والبعض الآخر باجتهاد الصحابة.

والقول بأن ترتيب سور القرآن ترتيبا اجتهاديا "لم يستند إلى دليل يعتمد عليه"[4]، لأن ترتيبهم لمصاحفهم كان اختيارا منهم قبل أن يجمع القرآن جمعا مرتبا، فلما جمع في عهد عثمان بترتيب الآيات والسور على حرف واحد واجتمعت الأمة على ذلك تركوا مصاحفهم"[5].

وهذا دليل على أنه توقيفي ولو كان غير ذلك لتمسكوا بترتيب مصاحفهم.

---

[1]- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن للقطان، مكتبة وهبة، مصر، القاهرة، ط 1، 2000، ص 35.

[2]- جلال الدين السيوطي، الإتقان، ج 1، ص 216.

[3]- عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمولي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م، ص 281.

[4]- جلال الدين السيوطي، أسرار ترتيب سور القرآن، ص 06.

[5]- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص 137.

وأما القول الثالث الذي يجمع بين القولين: فإن أدلته ترتكز على ذكر النصوص الدالة على ما هو توقيفي أما القسم الاجتهادي فإنه لا يستند إلى دليل يدل على أن ترتيبه اجتهادي إذ أن ثبوت التوقيفي بأدلة لا يعني أن ما سواه اجتهادي مع أنه قليل جدا"[1].

والراجح في ترتيب سور القرآن الكريم هو ما نص عليه كثير من العلماء وهو القول الثاني وأنه توقيفي وهو حجة داحضة على إقامة علم المناسبة، فهذه الأخيرة من بين أعظم العلوم الدالة على إعجاز القرآن الكريم بيانيا وأن ترتيبه وارتباط آياته وسوره كالجسد الواحد لم يكن هباء منثورا بل كان وراء قصد وحكمة عظيمة.

فنسأل الله أن يعلمنا ويزدنا علما من فيض علمه.

ب- مفهوم التناسب لغة واصطلاحا:

يقول ابن فارس "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به[2].

ويقول الراغب الأصفهاني: "النسب والنسبه: اشتراك من جهة أحد الأبوين، وقيل فلان نسيب فلان أي قريبه، النسبة في مقدارين متجانسين بعض التجانس يختص كل واحد منها بالآخر"[3].

وجاء في لسان العرب: والنَسَبْ: المناسب والجمع نُسَبَاء، وأَنْسِباء وفلان يناسب فلان فهو نسبه أي قريبه ... وتقول ليس بينهم مناسبة أي مشاكلة"[4].

فكل التعاريف اللغوية تدل على أن المناسبة المشاكلة والمقاربة، وهذا ما يؤكده بدر الدين الزركشي في كتابه البرهان: "المناسبة في اللغة المقاربة، وفلان يناسب فلان أي يقرب منه ويشاكله،

[1]- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج 5، مطبعة الحلبي، مصر، ط 2، ص 423.

[2]- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص 423.

[3]- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دار الشامية، دمشق، بيروت، ط ، 1412هـ، ص 801.

[4]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (نَسَبَ)، ص 4405.

ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه وإن كانا متناسبين، بمعنى رابط بينهما وهو القرابة ومنه المناسبة[1].

المناسبة اصطلاحا:

يقول البقاعي: علم المناسبات علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه وهو سر البلاغة"[2].

ويقول الشيخ عبد الحميد الفراهي الهندي وقد أطلق على التناسب: "اسم النظام: ومردنا بالنظام أن تكون السورة وحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة ... وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلاما واحدا ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر"[3].

فاعلم التناسب أو المناسبة في القرآن الكريم هو علم يعرف به سر الترابط والتآلف بين آيات السور وسور القرآن الكريم، "هي الرابط بين الشيئين بأي وجه من الوجوه وفي كتاب الله تعني ارتباط السور لما فيها وما بعدها وفي الآيات تعني المتعددة أو بين السورة والسورة"[4]، فالتناسب هو الرابط هو العلاقات بين الآيات والسورة.

ويضيف السيوطي معرفا لعلم المناسبة: "ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه"[5].

وإن اختلفت التعريفات لعلم المناسب والمناسبة أو التناسب أو كلا حسب مفهومه إلا أنها اجتمعت على القول أنها الترابط والعلاقة التي تكون بين الآيات والسور في كتاب الله ومن بين التعاريف لها:

---

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 35.

[2]- أبو بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 1، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، د.ت، ص 06.

[3]- عبد الفراهي الهندي، دلائل النظم، المطبعة المحمدية، 1388هـ، ص 75.

[4]- مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط3، ص1421هـ-2000م، ص 58.

[5]- السيوطي، كتاب الإتقان، ج3، ص 371.

قول القاضي أبو بكر: "هو ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني"[1].

ويقول محمد باز مول: "هو معرفة الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل الترتيب أجزاء القرآن الكريم بعضها ببعض"[2].

ومجمل القول أن المناسبة العلاقة الرابط بين السور أو الترابط الحاصل بين الآيات سواء كان ذلك من خلال دلالات السياقية أو المعنى أو حتى الدلالات المعنوية، والجدير بالذكر أن المناسبة أوسع من هذا المفهوم ولم تنحصر في وجه التشابه والتشاكل بين الآيات والسور بل نطاقها بل كان حتى من الجانب اللغوي والتركيبي، سنظهر ذلك من خلال بحثنا وتوسع بعض الدارسين حتى إلى الجانب الإيقاعي وإلى غيرها من الجوانب التي حاولوا لأن يدلوا دلوهم فيها من خلال بحوثهم التي تتجلى في الكشف عن أسرار وأوجه الإعجاز في القرآن الكريم كما لا ننسى أن علم المناسبة له أهمية وفائدة بليغة ذكرها العلماء والدارسين نسردها في عجالة في النقاط التالية، لإبراز أهمية هذه المادة العلمية:

- يقول السيوطي: "وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته"[3]، ويتضح من قوله أن علم المناسبة علم عظيم له أهمية بالغة في معرفة جوهر القرآن الكريم وفهم أسراره وتدبر معانيه.

- ووصفه محمود حسن عمر بأنه: "علم المناسبة بالنسبة للمناسبة في البلاغة كأصول الفقه بالنسبة للفقه، فهو حاضنها، ومعلل ترتيبها، ومقنن لها، فالمناسبة البلاغية الترتيب والاتساق والتآخي، وعلم المناسبة هو معرفة علل وأسباب هذا الترتيب والتآخي"[4].

- وقال البقاعي: "بهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب"[5].

---

[1]- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 265.

[2]- محمد بازمول، علم المناسبات في السور والآيات، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط1، 1423هـ-2000م، ص 58.

[3]- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص 369.

[4]- محمود حسن عمر، المناسبة في القرآن الكريم، شبكة الألوكة، ص 10، على الموقع: WWW.Alokah.net

[5]- أبو بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص 08.

– وقال الزركشي: "أعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[1].

– وقال فخر الدين الرازي: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[2].

– ويقول الأصفهاني: "إن القرآن معجز، والركن الأبين للإعجاز يتعلق بالنظم والترتيب"[3].

يقول مناع القطان: "إدراك اتساق المعاني وإعجاز القرآن البلاغي وإحكام بيانه وانتظام كلامه"[4]، وروعة أسلوبه قوله تعالى: ﴿**أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ**﴾[5].

من خلال ما سبق نصل إلى أن علم المناسبة أو التناسب علم عظيم وله فائدة جليلة في علوم القرآن وفي معرفة أسرار القرآن الكريم من خلال ما يؤكده من أن القرآن الكريم معجز بآياته وحروفه وكلماته وحتى مبانيه وحركاته، وهو يساعد على تدبر كلام الله والإبحار في عجائبه وغرائبه.

[1]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 41.

[2]– المصدر نفسه، ص 35

[3]– نفسه، ص 36.

[4]– مناع القطان، مباحث في علوم القرآن الكريم، ص 92.

[5]– سورة هود، الآية: 01.

الفصل الأول

تناسب التراكيب في القرآن الكريم

التناسب في التقديم والتأخير:

لعل من بين أهم المباحث في علم التراكيب مبحث التقديم والتأخير والذي وضعه العلامة السيوطي في "لنوع الرابع والأربعون، وعنونه بـ: مقدمه ومؤخره"[1]، كما أنه له ميزة كبيرة في دراسة الجمل واللفظ ومفردات القرآن الكريم وأن ترتيبه الذي هو عليه من تقديم تارة وتأخير تارة أخرى، لم يكن عبثا ومجرد نسج عادي، بل كان على منهج قويم وأساس عظيم، يبهر العقول ويسحر الأذهان، ويبهتُ كل شاك في كتابه الكريم.

"وهذا الباب تتبارى فيه الأساليب وتظهر المواهب والقدرات، وهو دلالة على التحكم في الفصاحة وحسن التصرف في الكلام ووضعه الوضع الذي يقتضيه المعنى"[2]، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تمام فصاحة وبلاغة مستعمل هذا الأسلوب، نهيكا على ما يضيفه لأسلوب القرآن الكريم ويبحث فيه "يبحث في سبك الألفاظ والعبارات والجمل ليبين ما فيها من أسرار ومزايا بلاغية، والقرآن الكريم خير مورد وزاد في ذلك، لما يحتويه من غزارة اللفظ وتعدد المعنى، بل إن شغل العالم منذ نزوله فتسابق العلماء إلى البحث في ألفاظه وأساليبه واستخراج أسراره ودوره"[3]، فالقرآن الكريم خير نصا يحتوي على هذا الأسلوب البليغ العجيب، الذي وإن فقللن في وصف محاسنه إلا أن نجد عبد القادر الجرجاني يصفه يوجز قائلا: "هو بابا كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفه ثم تنظر سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحوّل اللفظ من مكان إلى مكان"[4]، وإذا حضر التقديم والتأخير وجب علينا أن نستدعي الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، "التقديم والتأخير ظاهرة لطيفة وفن بلاغي رفيع في التعبير القرآني دليلا واضحا

[1]- كتاب السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 38.

[2]- أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980م، ط 1، ص 168.

[3]- إبراهيم بن عبد الله بن سليمان الهنائي، اسرار التقديم الألفاظ وتأخيره في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، دراسات لغوية، 1437-2016، سلطنة عمان، جامعة نزوي، كلية العلوم والآداب، ص 01.

[4]- عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط 1، 2004، ص 106.

على الإعجاز البياني في القرآن الكريم"[1]، وهذا يدل على أن هذا الفن البليغ له علاقة وطيدة بالإعجاز اللغوي للقرآن الكريم ومنه فإن التقديم وتأخير من بين الأساليب البلاغية الدالة على فصاحة الخطيب وبراعة المتكلم وفي هذا يضيف الزركشي: "هو أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقيادهم وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق"[2].

وإلى هنا تنتهي جولتنا في التقديم والتأخير كما ذكرنا في محاسنه لنقف مع العلامة جلال الدين السيوطي وأهم ما ذكره في هذا المبحث مع سرد بعض الأمثلة لنستكمل وقفتنا في هذا الباب الذي آمل أن أصبت فيه ولو بالقليل.

وذهب السيوطي إلى أن التقديم والتأخير يستعمل لغرضين إما لمراعاة السياق وإما للاعتناء ببدء الكلام وختامه، ويقول في هذا الصدد: "قد يقدم لفظ ويؤخر في آخره ونكتة ذلك إما لكونه السياق في كل موضع يقتضي ما وقع فيه ... وإما لقصد البداءة والختم به الاعتناء بشأنه"[3]، ولعل مراعاة السياق والاهتمام ببراعة الاستهلال وذلك من خلال الاعتناء ببدء الكلام وهو أساس لفت انتباه المستمع والختام الذي هو أساس تشويق المستمع، لتزود منه أكثر من بين أهم ما يروى إليه التناسب من خلال تلك اللمسة الفنية التي تجعل الكلام متناسق متناغم كروح واحدة.

وقد قسم السيوطي في هذا المبحث إلى قسمين:

أ- "ما أشكل معناه بحسب الظاهر"[4].

نحو قوله تعالى: ﴿**فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا**﴾[5].

---

[1]- د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دلائل القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، ط 1، عمان، 1421-2000، ص 261.

[2]- بدر الدين محمد الزركشي، البرهان في القرآن الكريم، مح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الإحياء، الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط 1، ج 3، 1376-1957، ص 239.

[3]- جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن الكريم، ج 3، ص 47.

[4]- المرجع نفسه، ج 3، ص 38.

[5]- سورة هود، الآية: 71.

والأصل "فبشرناها فضحكت" أي أنها لما أتتها البشارة باسحاق ضحكت من فرحتها بما سمعت، "وكان ضحكها مناسبة تبشريها هي أيضا بالولد، لتزداد سرورا على سرورها"[1].

ب- أما القسم الثاني فقال: "ما ليس كذلك أي عكس القسم الأول ولم يمثل له واستهل كلامه في أسباب التقديم والتأخير وأسراره قائلا: "فقد ظهر لي منها في الكتاب العزيز عشرة أنواع"[2]، وختم كلامه بها، ونذكر بعض من أسباب التقديم والتأخير:

1- التبرك: كـ "تقديم اسم الله عز وجل في الأمور ذات الشأن"[3]، اي تقديم اسم الله عز وجل تعظيما لشأنه وتنزيها له ولمقامه العالي جل في شأنه، وقد ذكر الزمخشري في كتابه البرهان "التعظيم"[4]، غير أن السيوطي ذكر التبرك والتعظيم كلا على حد.

التبرك نحو قوله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ**﴾[5].

فقدم الله عز وجل ذكر الملائكة على أولى العلم وكذلك لعلو شأنهم "لأنهم الملأ الأعلى وعلمهم كله ضروري، بخلاف البشر، فإن علمهم ضروري واكتسابي"[6]، لذلك جاء ذكر الملائكة قبل أولو العلم تناسبا مع شأنهم العظيم ودرجة علمهم، وقدم ذكر شهادة الله عز وجل على شهادة الملائكة وأولو العلم وذلك تعظيم لله عز وجل، "ذكر شهادته سبحانه على سبيل التعظيم بشهادة من ذكر بعده"، أي تعظيما ورفعا لشهادة الملائكة وأولو العلم.

2- ويأتي التقديم على سبيل التشريف:

نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ**﴾[7].

---

[1]- الشحات محمد أبو ستين، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، مطبعة الأمانة، ط 1، مصر، 1412هـ-1991م، ص 280.

[2]- جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن الكريم، ج 3، ص 40.

[3]- المصدر نفسه، ج 3، ص 40

[4]- الزمخشري، البرهان في القرآن الكريم، ج 3، ص 251.

[5]- سورة آل عمران، الآية: 18.

[6]- بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، مصرفي محمد جميل، ج 3، دار الفكر، بيروت، ط 1420هـ، ص 60.

[7]- سورة الأحزاب، الآية: 35.

وفي الآية الكريمة نلاحظ "تقديم الذكر على الأنثى"[1]، وتناسب ذلك مع التشريف لذكر هذا ما قاله الزمخشري "شرف الذكورة"[2]، لذلك تقدم ذكر المسلمين على المسلمات.

قوله كذلك من سورة البقرة ﴿**الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى**﴾[3].

فقدم الحر على العبد وذلك لشرف الحرية، ومن ثم أردف العبد والأنثى كلا على حسب مقامه وشرفه تقدم ذكره "الحر أشرف من العبد"[4]، لذلك بدأ بالحر ثم العبد.

3- وقد يكون مراعاة للمناسبة: وفيه حالتين:

* إما لمناسية المتقدم لسياق الكلام[5].

نحو قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[6]، فقدم ذكر مريم عليها السلام وذلك "لما كان السياق فيه ذكرها"[7]، أي في بداية الآية كان السبق لذكر مريم في قوله تعالى: ﴿**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**﴾[8]، غير أنه "قدم الابن في غير هذا المكان"[9]، وذلك لما كانت سياق الآية يناسب ذكر موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً**﴾[10]، وعلق السيوطي قائلا: وحسنه تقديم موسى في الآية قبله"[11]، فناسب التقدم في الآية الكريمة لمريم عليها السلام سياق الكلام ومراعاة تناسق وترابط الآية الكريمة.

---

[1]- جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن الكريم، ج 3، ص 41

[2]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص 252.

[3]- سورة البقرة، الآية: 178.

[4]- الزمخشري، البرهان، ج 3، ص 252.

[5]- السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 42.

[6]- سورة الأنبياء، الآية: 90.

[7]- السيوطي، الإتقان، ج 3، ص 43.

[8]- سورة الأنبياء، الآية 91.

[9]- الزركشي، البرهان، ج 3، ص 262.

[10]- سورة المؤمنون، الآية: 50.

[11]- السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 43.

وقد يكون "مناسبة لفظ هو من التقدم أو التأخر"[1]، أي يكون التقديم أو التأخير يتناسب مع اللفظ، نحو قوله تعالى: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ**﴾[2]، فقدم الأول على أساس رتبته، وقوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ**﴾[3] فقدم المستقدمين على المتأخرين ، وذلك مراعاة للحالة واللفظ، ومن أمثلة ذلك كثيرا في القرآن الكريم.

* وقد يكون مراعاة للفاصلة:

لم يذكرها السيوطي كنوع معين ولكن ذكرها في الأنواع العشرة بشكل متفرق وأبيت أن أذكرها كنوع وذلك لأن الفاصلة متناسبة مع التقديم والتأخير ولها ارتباط وثيق بالتناسب وهو هدف دراستنا.

نحو قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا**﴾[4].

فالمتأمل لآيات القرآن الكريم يجد أن الشمس متقدمة على ذكر القمر وذلك كما نقل الزمخشري "الحكماء يقولون إن القمر مستمد من نور الشمس"[5]، وفي الآية التي بين أيدينا يقول: "فيحتمل وجهين مناسبة رؤوس الآي أو أن انتفاع أهل السماوات به أكثر، وكذلك نقل السيوطي أنه أتى بالتقديم وذلك لمراعاة الفاصلة"[6]، وهذا الذي أرجحه في هذا المقام والله أعلم، أنه تقدم ذكر القمر مراعاة للفاصلة القرآنية.

وكذلك في وقوله تعالى: ﴿**وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**﴾[7]، وغيرها من الآيات كتقديم الرحمان على الرحيم والرؤوف على الرحيم والرسول على النبي فأتى التقديم مناسبة ومراعاة للفاصلة "وذكر لذلك تكن أشهرها مراعاة للفاصلة"[8].

---

[1]- السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 43.

[2]- سورة الحديد، الآية: 03.

[3]- سورة الحجر، الآية: 16.

[4]- سورة مريم، الآية: 51.

[5]- الزمخشري، البرهان، ج 3، ص 259.

[6]- السيوطي، الإتقان، ج 3، ص 42.

[7]- المصدر نفسه، ج 3، ص 46.

[8]- نفسه، ج 3، ص 46.

وأتى التقديم والتأخير على أساس السبق أي مراعاة لزمن والتدلي والترقي والسبب وإلى غيرها من الأسباب التي ذكرها السيوطي التي حاولنا الأخذ منها وإن لم نذكرها كلها وكما ختم كلامه قائلا: "قد يكون التقديم والتأخير قصد التفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب"[1]، فأقول بل هو عين الفصاحة والبلاغة، وله دلالة على إبراز المعنى وقوة الإعجاز البياني للقرآن الكريم واتساق معانيه وانسجام ألفاظه وتناسب عباراته ومنه "نرى القرآن الكريم لا ينهج في ترتيب كلماته سوى هذا المنهج الفني الذي يقدم ما يقدم، لمعنى نفهمه وراء رصف الألفاظ وحكمة ندركها من هذا النسج المحكم المتين"[2].

وهذا حجة داحضة على إعجاز القرآن الكريم وقوة نظمه وتناسب آياته وأن هذه الأساليب البلاغية خاصة التقديم والتأخير لم تأتي عبثا، وإنما كان إثباتا على بلاغة وفصاحة القرآن الكريم.

[1]- السيوطي، الإتقان، ج 3، ص 47.

[2]- أحمد بدوي، من بلاغة القرآن الكريم، دار النهضة، مصر، 2005، ص 24.

التناسب في الحذف والذكر:

تنوعت الدراسات حول موضوع الحذف والذكر وشغلت حيزا كبيرا عند النحاة أو اللغويين أو الجانب البياني خاصة في الدراسات القرآنية.

ومن خلال دراستنا لكتاب الاتقان وبالأخص في مبحث "التناسب في الحذف والذكر"، نجده تحدث عنه في النوع: السادس والخمسون، المعنون بالإيجاز والإطناب، وقد أطنب السيوطي في هذا الوجه وذكر أقسامه وأنواعه وقواعد متعلقة به، واعتبره أنه أساس البلاغة قائلا: "أعلم أنهما من أعظم أنواع البلاغة"[1]، أي ركيزة أساسية في علوم البلاغة.

1- الحذف: الإيجاز

الحذف من الأساليب البلاغية التي أظهرت تناسب النص القرآني وتناسقه ومدى استيعابه لكل العقول لشمول أوجه مخاطبته كلا على حسب فهمه وحسب علمه، فنجده يطنب تارة في الكلام ويجيز تارة أخرى "إن المخاطبين بالقرآن الكريم على طبقات متفاوت وأعصار مختلفة، فالمراعاة هذه الطبقات، ولمجاورة هذه الأعصار ليستفيد كل نوع ما قدر له من حصته حذف في كثير للتعميم والتوزيع وأطلق في كثير للتشميل والتقسيم وأرسل النظم في كثير لتكثير ... ليفيض كل ذهن بمقدار ذوقه"[2].

وإذا تحدثنا على القيمة الجمالية وبلاغة أسلوبه نجد عبد القادر الجرجاني يقول في هذا الصدد: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد في الافادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيان إذ لم تبن"[3].

وذكر السيوطي أن الإيجاز نوعان إيجاز قصر وإيجاز حذف.

---

[1]- جلال الدين السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 179.

[2]- بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات المجاز في مضمان الإيجار، تح: إحسان قاسم صالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر، ط 3، 2002، ص 56.

[3]- عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط 5، 2005، ص 146.

أما إيجاز القصر: "فهو الوجيز بلفظه"[1]، ونقل السيوطي عن الشيخ بهاء الدين فقال: "بمعنى أبسط إيجاز القصر هو ما قل فيه اللفظ وكثر له المعنى"[2].

وأما إيجاز الحذف وهو موضع دراستنا فهو: "ما يكون بحذف والمحذوف إما جزء جملة أو جملة، أو أكثر من جملة"[3].

وذكر الباقلاني بأن"الحذف أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب"[4].

وذكر السيوطي في أسباب الحذف في ثمان نقاط كالتنبيه والتفخيم، التخفيف ... الخ.

وله علاقة مع التناسب ولكن الدراسات فيه تكاد تنعدم وانحصرت في كثير من الأحيان في تناسق الفواصل القرآنية فيختار أحيانا ما يتناسب مع الحذف وفي البعض الآخر ما يتناسب مع الذكر، "أما علاقة هذا الأسلوب بالتناسب ووحدة السياق فلا نصادف لها صدى في الدراسات القرآنية إلا ضمن إشارات قليلة كالإشارة إلى ما حذف من بعض الآيات أو التراكيب القرآنية حفاظا على تناسب الفواصل، أو ضمن توجيه الآيات المتشابهة التي يقع الحذف في تركيبها أحيانا"[5].

أ- حذف المفعول اختصارا أو اقتصارا:

وافتتح السيوطي الكلام في الحذف، بحذف المفعول ونقل عن ابن هشام فقال: "جرت عادة النحويين أن يقولوا بحذف المفعول اختصارا أو اقتصارا، ويريدون بالاختصار الحذف لدليل ويردون بالاقتصار الحذف لغير دليل"[6].

[1]- السيوطي، الإتقان، ج 3، ص 181.
[2]- المصدر نفسه، ص 181.
[3]- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 145.
[4]- الباقلاني، الإعجاز القرآني، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، 2009م، ص 397.
[5]- أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، ص 205.
[6]- السيوطي، الإتقان، ج 3، ص 193.

وفي حذف المفعول به من الكلام رونق وجمال ومقام يقتضيه الحال "... ذكر المفعول به إذا حذف خصوصا، فإن الحاجة إليه أمس وهو بما نحن بصدده أخص، واللطائف فيه أكثر ومما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر"[1].

وقد ذكر السيوطي ضربان في حذف المفعول به:

-ما لا مفعول له: قال الله تعالى: ﴿**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾[2]

بمعنى أن ربي الذي يتصف بالإحياء والإمات وبيده الخير كله وهو على كل شيء قدير، "هو الذي منه الإحياء والإماتة والغناء والإقناء وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن تثبت المعنى في نفسه فعلا للشيء"[3]، وهذا القسم لا يحتاج لمفعول: "فهذا القسم من خلو الفعل عن المفعول، وهو أن لا يكون له مفعول يمكن النص عليه"[4].

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[5].

وقصد هل يستوي الذي علم والذي ليس له علم، "من غير أن يقصد النص على معلوم وتارة يكون للفعل المتعدي مفعول مقصود، قصده معلوم، إلا أنه يحذف من اللفظ الدليل الحال عليه والإيهام أنه لم يذكر الفعل إلا لأن يثبت نفس معناه من غير أن يعد به لشيء"[6].

---

[1]- عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، محمود محمد شاكر أبو فهد، مطبعة المديني، القاهرة، ط 3، 1413-1992، ص 153.

[2]- سورة البقرة، الآية: 258.

[3]- عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 155.

[4]- المرجع نفسه، ص 155.

[5]- سورة الزمر، الآية: 09.

[6]- مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع، القاهرة، 1412-1991، ص 19.

ب- حذف مفعول مقصود قصده:

قال الله تعالى: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ**﴾[1].

ففي الآية الكريمة حذف المفعول في أربعة مواضع وقال السيوطي "ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام رحمهما إن كانت على صفة الذياد وقومهما على السقي لا يكون مذودهما غنما وسقيهم إبلا ... وكذلك المقصود من قوله تعالى: ﴿**لَا نَسْقِي**﴾ السقي لا المسقي ومن يتأمل قدرا يسقون إبلهم، وتذودان غنمهم" و"لا نسقي غنما"[2].

إن المعنى "وجد عليه أمة من الناس يسقون غنمهم وامرأتين تذودان غنمهما قالا لا نسقي غنما فسقى لهما غنمهما"[3]، بمعنى "يسقون غنمهم وحذف المفعول لأنه غير مقصود وإنما كان المراد الفعل "فإن قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله "يسقون" و"تذودان" و"لا نسقي" قلت لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه إنهما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقي"[4]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿**لَا نَسْقِي**﴾، المقصود به السقي لا المسقي[5].

ج- وقد يشبه الحال في الحذف وعدمه:

قال الله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ**﴾[6].

قد يخطر على ذهن القارئ أن المقصود في هذه الآية بأن الدعاء بمعنى النداء، ولكن ليس بمعناه لأنه لم يأت العطف، "فلا يقدر في الكلام محذوف وليس بمعناه لأنه لو كان بمعناه لزما إما

---

[1]- سورة القصص، الآية: 23-24.

[2]- السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 194.

[3]- عبد السلام، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص 20.

[4]- الزمخشري، الكشاف، تح: عادل أحمد عبد الجواد، على محمد معوض، مكتبة العبيكلة، ط 1، الرياض، ج 4، 1418-1998، ص 491.

[5]- المرجع نفسه، ج 4، ص 491.

[6]- سورة الإسراء، الآية: 110.

الإشراك أو العطف الشيء على نفسه، لأنه إن كان مسمى الآخر لزم الأول، وإن كان مسماهما واحد لزم الثاني، وكلاهما باطل"[1]، ويضيف السيوطي "قد يتوهم أن معناه: "نادوا" أو "سمّو" فالحذف واقع"[2]، والحذف هنا إنما جاء "للمحافظة على وحدة الحرف الأخير من الفواصل والذي ينزل في النثر المسجوع حرف الروي في كلام المنظوم"[3]، وهذا عين التناسب والتناسق في النص القرآني، ودلالته البيانية المودعة فيه.

أنواع الحذف:

ومن ثم أورد أنواع الحذف ومنها الاقتطاع، الاختزال الاكتفاء، وما يسمى بالاحتباك ما سماه الزركشي الحذف التقابلي في كتابه البرهان، والاختزالا وجعل منه أقسام عدة وقال: وهو أقسام لأن المحذوف إما كلمة أو اسم أو فعل أو حرف أو كلمة أو أكثر"[4].

وسنذكر هنا النوع الأقرب للتناسب، فلا يمكننا الإحاطة بكل الأنواع ولا سرد كل الأمثلة ومهما بلغ جهدنا في هذا الباب، فيبقى جهد مقل، أمام هذا البحر الوافر.

أ- الاحتباك:

وهو من ألطف الأنواع وأجملها وأقربها لتناسب ويقول السيوطي "هو من ألطف الأنواع وأبدعها، وقل من تنبه له أو نبه عليه من أهل فن البلاغة"[5].

وسماه بعض العلماء بالاحتباك مثلما ذكر السيوطي ويسميه بعضهم بالحذف المقابلي، أو الاكتفاء بالمقابل.

وقد عرفه الزركشي في البرهان: "وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابلة لدلالة الآخر عليه"[6].

---

[1]- القزويني، الإيضاح، ص 93.

[2]- السيوطي، الإتقان، ج 3، ص 144.

[3]- عبد العزيز العتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1430هـ-2009م، ص 131.

[4]- السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 206.

[5]- المصدر نفسه، ص 204.

[6]- الزركشي، البرهان، ج 3، ص 129.

وذكر السيوطي "ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشدة والإحكام والتحسين أثر الصنعة في الثوب فحبك الثوب سد ما بين الفرج، وشده وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والورنق"[1]، وبتعريف آخر أقرب لتناسب: "هو قول مركب من أجزاء فيه متناسبة نسبة الأول منهما إلى الثالث، كنسبة الثاني إلى الرابع، أو ما كانت النسبة فيه كنحو ذلك، فاجترئ من كل متناسبين بأحدهما القطع الدلالة مما ذكر على الترك"[2].

نحو قوله تعالى: ﴿**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ**﴾[3]، تقدير الكلام: "تدخل غير بيضاء وأخرجها بيضاء فحذف من الأول (غير بيضاء)"[4].

وهنا يظهر تناسب بالطباق أدخلها تخرج بيضاء مناسبة لقولك أخرجها بيضاء، إلا أنها حذفت الثانية للتناسب في الكلام وقوة النسج والاحتباك، ولهذا الحذف قيمة بيانية وبلاغية خاصة وإن لم نستطع الإحاطة بكل أنواعه إلا أن حاولنا من خلال الأمثلة التي قدمناه أن نبين فصاحة وبلاغة النص القرآني وجزالة لفظه بالشيء القليل.

ب- الذكر "الإطناب":

الإطناب المبالغة في الشيء: يقال أطنب في المكان إذا أطال الإقامة فيه، وإذا كان الإيجاز اسثمار الألفاظ القليلة في معان كثيرة فإن الإطناب زيادة اللفظ على المعنى"[5].

أي أن الإيجاز عكس الإطناب.

وقسمه السيوطي إلى نوعين الإطناب بزيادة والإطناب بالبسط:

أ- الإطناب البسط: ومعنى ذلك "تكثير الجمل"[6].

---

[1]- الزركشي، البرهان، ج 3، ص 205.

[2]- أبو محمد السجلماني، المنزع البديع، تح: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط 1، 1980، ص 195.

[3]- سورة النمل، الآية: 12.

[4]- السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 204.

[5]- عبد الرحمان حسين حبينكة الميداني، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، ص 481.

[6]- السيوطي، الإتقان، ج 3، ص 205.

كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[1].

نبدأ أولا بذكر العالم العلوي فقال: إن في خلق السماوات والأرض"، وخلقها إيجادها واختراعها وتركيب أجرامها وائتلاف أجزائها"[2].

وتقدير الكلام: إن في السماوات والأرض، وأتت لفظة خلق لتكثير وشمول المعنى "خلق هنا زائدة ... لأن الخلق إدارة تكوين الشيء والآيات في المشاهد من السماوات والأرض لا في الإرادة: لأن زيادة الأسماء لم تثبت في اللسان، ولأن الخلق ليس هو الإرادة بل الخلق ناشئ عن الإرادة"[3].

وأعاد السيوطي سبب الإطناب لكون الخطاب يشتمل كل العصور، وكل الأزمنة وتختلف فيهم العقول كلا حسب إيمانه وفهمه فناسب الخطاب اختلاف البشر على مر الأزمنة "أطنب فيها أبلغ الإطناب لكون الخطاب مع الثقلين وفي كل عصر وحين، للعالم منهم والجاهل والموافق منهم والمنافق"[4].

وقوله كذلك: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾[5]

قوله تعالى: ﴿**وَيُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾ إطناب لأن المعلوم إن حمله العرش يؤمنون بالله تعالى وكل ملائكة الرحمان لا يعصون له أمر، "لأن إيمان حملة العرش معلوم وحسن إظهار شرف الإيمان ترغيبا فيه"[6]، فناسب ذكر إيمانهم تشريفا لهم لعظمة منزلتهم وترغيبا في الإيمان لغيرهم من البشر.

الإطناب بزيادة: يكون لعدة أغراض من بينها:

[1]- سورة البقرة، الآية: 164.

[2]- أثير الأندلسي، البحر المحيط، ص 77.

[3]- المصدر نفسه، ص 77.

[4]- السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 216.

[5]- سورة غافر، الآية: 07.

[6]- السيوطي، الإتقان، ج 3، ص 216.

2-التأكيد:

وتكون للأغراض، وذلك حسب اللازم أو الحرف المستعملة في الزيادة "والأدوات هي: إن وأن ولام الابتداء والقسم وألا الاستفتاحية وأما وها للتنبيه"[1]، أما الأغراض تكون لترجي أو تأكيد الشرط أو التميز وإلى غيرها من الأغراض، ويكون ذلك على حسب المخاطب وتناسب تردده وإنكاره "وإنما يحسن تأكيد الكلام إذا كان المخاطب به منكرا أو مترددا أو بتفاوت التأكيد بحسب قوة الإنكار وضعفه"[2].

نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ**﴾[3].

قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ**﴾[4].

قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ**﴾[5].

فنلاحظ في الآيات الثلاث الكريمة اختلاف الخطاب وذلك على حسب إنكار المخاطب فتراه مرة يؤكد "بأن" واللام الاسمية، وتارة يزيد على ذلك بالقسم وإن واللام الاسمية، فتناسب التأكيد في كل مرة على حسب قوة وحدة الإنكار.

فالآية الأولى: ﴿ **إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ**﴾ فأكد بأن واسمية الجملة[6].

وذلك لأنهم في بداية الخطاب غير أن الآية الثانية غيرت مجرى الخطاب واحتاج إلى التأكيد "بالقسم وإن واللام واسمية الجملة لمبالغة المخاطبين في الإنكار"[7]، فاختلف الخطاب بين البداية والخوض فيه "قاله بغير تأكيد اللام، ولأنه ابتداء الإخبار وقاله بعد بالتأكيد لأنه جواب بعد إنكار

---

[1]- السيوطي، الإتقان، ج 3، ص 217.

[2]- نفسه، ص 217.

[3]- سورة يس، الآية: 14.

[4]- سورة يس، الآية: 16.

[5]- سورة، يس، الآية: 15.

[6]- السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 217.

[7]- المرجع نفسه، ص 218.

وتكذيب فاحتيج إلى التأكيد"[1]، وإضافة إلى استشهادهم بعلم الله وذلك لشد إنكارهم وجحودهم: وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لأنه جواب إنكارهم"[2].

وقال الرازي في صدد تفسير هذه الآيات: "إشارة إلى أنهم بمجرد التكريب لم يسأمو ولم يشركوا بل أعادوا ذلك وكرروا القول عليهم باليمين ... لأن من يقول بعلم الله قيما لا يكون فقد نسب الله إلى الجهل وهو سبب العقاب"[3].

ومن ثم قولهم: "إن أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمان من شيء"، فردهم دليل على إنكارهم وتكذيبهم "إشارة إلى الرد عليهم .... وذلك لأن الله إذا كان يعلم أنهم لمرسلون يكون كقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[4]، أي أن الله يصطفي من يشاء من عباده لرسائله وتبليغ دينه

وقد يؤكد قصد الترغيب.

نحو قوله تعالى: ﴿**فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[5].

فنلاحظ في الآية الكريمة إن الله عز وجل يظهر رحمته وعظمته على عبده ويرغب في إنابة العبد وعودته لله وتوبتهم بعد كل زلة، "فأكد بأربع تأكيدات ترغيبا للعبادة في التوبة"[6]، وذكر العلامة أبو الفضل محمود الألوسي في بيان فضل هذه الآيات وترغيب الله عز وجل في توبة عباده "وفي الجملة الاسمية ما يقوي رجاء المذنبين ويجبر كسر الخاطئين حيث افتتحها "أن" وأتى بضمير الفصل وعرف المسند وأتى به من صيغ المبالغة إشارة إلى قبوله التوبة كلما تاب العبد، ويحتمل ذلك لكثرة من يتوب عليهم وجمع بين وصفي كونه توابا وكونه رحيما، إشارة إلى مزيد الفضل"[7].

---

[1]- الأنصاري زين الدين أبو يحي السنيكي، فتح الرحمان يكشف ما يتلبس في القرآن، مح: محمد علي الصابوني، دار القرآن للنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1403-1983، ص 471.

[2]- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: حمد عبد الرحمان الهرعشلي، ج 4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1418هـ، ص 265.

[3]- الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، ج 26، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420، ص 261.

[4]- سورة الأنعام، الآية: 124.

[5]- سورة البقرة، الآية: 37.

[6]- السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 219.

[7]- شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير المثاني، ج 1، دار الإحياء العربي، بيروت، لبنان، ص ص 237-238.

وقدم "التواب" على "الرحيم" دلالة على التفضيل والترحم والترغيب بتوبة البشر "التواب لظهور مناسبته لما قبلها، وقيل في ذكر الرحيم بعده إشارة إلى أن قبول التوبة ليس على سبيل الوجوب ... بل على سبيل الترحم والتفضل"[1].

الزيادة في بعض الأفعال والأسماء والحروف:

ذكر السيوطي "ثم باب الزيادة في الحروف وزيادة الأفعال قليل والأسماء أقل أما الحروف فيزداد منها إن وأن و وإذا وإلى وأم والباء وفي الكاف واللام ولا وما ومن والواو وأما الأفعال فتزيد منها كان وأصبح"[2].

أ- الزيادة في الأفعال:

نحو قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**﴾[3].

فأتت "كان" زائدة لدلالة على تعجب القوم من تكلمهم مع صبي في المهد ولدلالة على الزمن" زائدة لا عمل لها بمعنى "صار" وهي لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيدة وهو هنا لقريبه خاصة والدال عليه مبني على الكلام وأنه مسوق للتعجب"[4].

ب- الزيادة في الأسماء:

قال السيوطي في كلامه عن زيادة الأسماء "وأما الأسماء فنص أكثر النحويين على أنها لا تزداد ووقع في كلام المفسرين الحكم عليها بالزيادة في مواضع كاللفظ مثل"[5].

نحو قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ**﴾[6].

أقر كثير من القراء بأن "مثل" أتت زائدة مقحمة في الآية من بينهم العلامة الألوسي يشهد له قراءة أبي بالذي آمنتم به وقراءة ابن عباس: بم امنتم به" وكان رضي الله تعالى عنه يقول: اقرأ اقرءوا

---

[1]- شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير المثاني، ص 239..

[2]- السيوطي، الإتقان، ج 3، ص ص 220-221.

[3]- سورة مريم، الآية: 29.

[4]- بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفضل لكتاب الله المرتل، دار الفكر، مج 7، د.ط، د.س، ص 25.

[5]- السيوطي، الإتقان، ج 3، ص 221.

[6]- سورة البقرة، الآية: 137.

ذلك فليس لله تعالى مثل"[1]، إلا أن المتدبر للقرآن الكريم يعلم بأنها في موضعها ومناسبة لصيغة التي وضعت لها" والحق أن "مثل" جاءت في مكانها، لا يستقيم المعنى بدونها"[2]، ولكن القول إنما مقحمة هذا الذي يرفضه السياق لأنها لو حذفت لصار إخلال في المعنى، "أما الأول: فلأن الخطاب مع اليهود كما نعلم واليهود يؤمنون بالله لأنهم أصحاب دين سماوي فلا يمكن أن يقال لهم آمنوا بالله، ويكتفي بهذا لأنهم سيقولون نحن نؤمن باله لذلك لا يمكن القول (فإن ءامنوا) أي بالله[3].

وأضاف الدكتور الدراز، رحمه الله: "والآية التي معنا من هذا القبيل، أي: فإن آمنوا بمثل دينكم، فهم مهتدون ولو جردنا هذه الآية من الباء، فقيل: فإن آمنوا مثل ما آمنتم، لذهب رونق المعنى لأن الأصل الإيمان موجود عندهم ولكن المراد هنا يؤمنوا بمثل ما آمن به المسلمون، وهذا لهم فيه تهييج لهم من جهة ليبحثوا عن الحق وتبكيت من جهة أخرى"[4].

وهكذا قد مررنا مرور الكرام بهذا الباب لما فيه من إفادة كبيرة ولكن حاولنا أن نقتطف بعضا من ثماره من خلال الأمثلة التي سردناها الدالة على تناسب القرآن الكريم وبراعة نظمه "يتضح أن نظام تركيب الجملة القرآنية نظام محكم يراعي فيه أنه يكون صالحا لتأدية المعنى على أكمل الوجوه، وأن يكون متآلفا متناسبا مع النظم القرآني في السياق المعوي في كل مقام"[5].

[1]- شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير المثاني، ج 1، ص 396.

[2]- فضل عباس، لطائف المنان وروائع البيان، دار النفائس، ط 1، الأردن، 1430هـ-2010م، ص 250.

[3]- فضل عباس، لطائف المنان وروائع البيان، ص 252.

[4]- محمد دراز، النبأ العظيم، ص 36.

[5]- أحمد بوذيب، التناسب البياني، ص 211.

التناسب في التعريف والتنكير:

يمثل أسلوب التعريف والتنكير أسلوبا بلاغيا مفعم بالفنون، يعرف أحوال الكلم، وجميل معانيه، ويقول السيوطي: "اعلم أن لكل منهما مقاما لا يليق بالآخر"[1]، أي أنه أتى التعريف في موضع لا يحق له غير ذلك والعكس صحيح، وجاء في الطراز "اعلم أن المعرفة ما دلت على شيء بعينه، والنكرة ما دلت على شيء لا يعنيه"، وسنذكر في دراستنا هذه بعض من أسباب التنكير أولا ثم التعريف، وذلك وفق لما أتى به السيوطي في كتابه الاتقان.

أ- التنكير: "النكرة يراد بها واحد من أفراد الجنس، ويؤتى بها عندما لا يراد تعيين هذا الفرد"[2]، ولعلى النكرة تكون في المقام الأبهم والوضع المظلم، وفائدته كما جاء في الطراز: "قد يجيء لفائدة جزلة يقصر عن إفادتها التعلم، ولا يبلغ كنها رسم القلم"، وذلك لما يكنه هذا الأسلوب من تنوع في أسبابه التي تختلف من نوع لآخر، فكل نوع يظهر جمال هذا الأسلوب ويبين خصاله الجمة التي ليس بمقدور باحث في أسطر الإتيان بها كلها، ونجد العلامة السيوطي ذكر في هذا المقام ستة أسباب للتنكير نذكرها فيما يلي:

1- إرادة الوحدة:

نحو قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى**﴾[3].

فجيء بكلمة رجل منكرة وذلك عندما كانت الإرادة وراء ذلك أنه رجل واحد"[4]، وكذلك ورد منكرا لكون الرجل جاء بالخبر لموسى عليه السلام وهو في رهبة من أمره "فإنه لما كان لا يتعلق بتعيين هذا الرجل غرض جيء به منكرا ثم أنه لابد أن يكون أتى إلى موسى في خفية خوفا على نفسه"[5]، فالزم إنكاره وعدم تعريفه في هذا المقام.

---

[1]- السيوطي، الإتقان، ج 2، ص 346.

[2]- حمزة العلوي اليمني، الطراز، ج 2، ص 08.

[3]- سورة القصص، الآية: 20.

[4]- السيوطي، الإتقان، ج 2، ص 346.

[5]- عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية، مكتبة الآداب ومطبعتها، الطبعة النموذجية، ط 2، 1411هـ-1991م، ص 69.

وقد يكون سبب الإخفاء في الآيات الكريمة "إخفاء الشخص المتحدث منه، لمصلحة يراها منشئ الكلام، والمصالح من الإخفاء كثيرة يصعب حصرها، كالخوف عليه، وكالتشويق إليه، أو كانتظار المناسبة الملائمة للمفاجأة به"[1]، إلى غيرها من الأسباب التي أدت إلى الإنكار، ولعل أرجحها ارادة الوحدة لذلك تتناسب ذكر الرجل منكرا، في هذه الآية لأن الهدف "ليس تعيين الرجل ولكن يراد أن يصل إلى موسى نبأ الائتمار عليه بالقتل"[2]

2- إرادة النوع:

نحو قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**﴾[3].

والمراد بالغشاوة "أي نوع غريب من الغشاوة لا يتعارف الناس بحيث غطى مالا يغطيه شيء من الغشاوات"[4]، وأتي التنكير في الآية الكريمة غشاوة حملا على "على النوعية والتعظيم معا"[5]، أي بتعظيم لنوعية هذه الغشاوة من حيث غرابته ونوعيته.

وقد يحتمل الوحدة النوعية معا:

نحو قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ**﴾[6].

والمراد كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع الماء وكل فرد من أفراد الدواب من فرد من أفراد النطف"[7].

فتتناسب ذكر الوحدة وذلك حسب الضنف وكل حسب نوعه.

---

[1]- البلاغة العربية أسسها وعلومها.

[2]- أحمد بدوي، من بلاغة القرآن الكريم، ج 1، ص 102.

[3]- سورة البقرة، الآية: 06.

[4]- السيوطي، الاتقان، ج 2، ص 346.

[5]- الألوسي، روح المعاني، ص 137.

[6]- سورة النور، الآية: 45.

[7]- السيوطي، الإتقان، ج 2، ص 346.

3- التعظيم: وقد استهل السيوطي كلامه فيه بأنه أعظم من أن يعين أو يعرف"[1]، أي أن الأمر الذي يذكر أعظم وأكبر من أن يعرف لذلك يأتي نكرة.

نحو قوله تعالى: ﴿**فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ**﴾[2].

فأتت الحرب منكرة وذلك تعظيما لها لأنها من الله عز وجل وإذا كانت من عند العظيم جلا في علاه فذلك يقتضي أن تكون على قدر عظيم من الشدة والقوة، "تنكير لفظ حرب للتعظيم والتهويل أي بحرب هائلة شديدة مخيفة كونها من الله ورسوله وكونها على عقوبة على معصية من الكبائر "[3]، فتناسب تنكير الحرب كونها غضب من الله عز وجل ورسوله.

4- وقد يأتي من باب التكثير أو التكثير والتعظيم معا:

نحو قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ**﴾[4].

فتنكير "رسل" في الآية الكريمة تعظيما لهم وكذلك من باب كثرتهم ويقول السيوطي في هذه الآية: "رسل عظام، ذوو عدد كثير"[5]، فمجيئها بوجه التنكير إنما تتناسب مع العدد وعلو شأنهم وذلك لتبليغهم رسالات ربهم فكانت هذه الآية مواساة للني صلى الله عليه وسلم لما لقاه من قومه ومؤانسة له بالصبر والثواب.

"أما التعظيم فلايستفادة من التنكير، وإنما يستفاد من وصف هؤلاء الرسل بأنهم جاؤوا بالبينات فالمقام هو الذي عظم هؤلاء الرسل"[6].

فالمقام في هذه هو الذي يعظم هؤلاء الرسل عليهم صلوات ربي.

---

[1]- السيوطي، الإتقان، ج 2، ص 347.

[2]- سورة البقرة، الآية: 279.

[3]- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج 1، ص 314.

[4]- سورة فاطر، الآية: 04.

[5]- السيوطي، الاتقان، ج 2، ص 347.

[6]- أحمد بدوي، من بلاغة القرآن الكريم، ص 103.

5- التحقير: بمعنى: "انحطاط شأنه إلى حد لا يمكن أن يعرف" وقد يراد به التصغير أو التحقير فيه شيء من التقليل،"تنكير: متاع للتحقير والتصغير أي: متاع حقير صغير سريع الزوال وفيه معنى القليل أيضا"[1]، أي تنكير تحقيرا وتصغيرا للأمر المذكور.

نحو قوله تعالى: ﴿**إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا**﴾[2].

أي "ظنا" حقير "وذلك لأن عادتهم الظن والشك بما يأتي ينأون به على العيب كاقتراب الساعة وأنه يوحد يوم القيامة والبعث وإلى غيرها من الأمور التي كذبوا بها ويظنون أنها غير واقعة وفي ذلك يضيف السيوطي: "أي ظنا حقيرا لا يعبأ به وإلا لاتبعوه لأنه ذلك ديدنهم"[3]، أي منهاجهم اتباع الظن وعدم التسليم لأقوال الأنبياء وتأمينهم لهم وذلك لأن التنكير في هذا الوجه كان شأنه ارتفاعا وانحطاطا واصل إلى حد يوهم أنه لا يمكن أن يعرف"[4].

6-التقليل: نحو قوله ﴿**وَرِضْوانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَر**﴾[5].

أتت رضوان مقللة الا قليلها كثير كما ذكر السيوطي اي رضوان منه قليل منه أكبر من الجناب لأنه رأس كل سعادة"، فناسب تنكير رضوان التقليل إلا أنه رضوان الله عز وجل رأس مال المسلم وسعادته الكبرى وبه يكون الفلاح في الدنيا والفوز في الآخرة بالجنان.

[1]- السيوطي، الإتقان، ج 2، ص 347.

[2]- سورة الجاثية، الآية 32.

[3]- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها، علومها وفنونها، ج 1، ص 114.

[4]- السيوطي، الاتقان، ج 2، ص 347.

[5]- سورة التوبة، الآية: 72.

التعريف:

ونذكر بعضا من أسباب التعريف ولا يسعنا ذكرها كلها كما جاء عن السيوطي ولكن سنحاول ذكر بعضا منها لأنه ذكر أكثر من عشرة أسباب للتعريف:

1- التعريف بالإشارة: وذكرها على خمسة أضرب: الإشارة لتمييز أو التعريض بغباوة السامع، أو لقصد تحقيره، بالقرب أو لقصد تعظيمه أو لتنبيه.

ومنه قوله تعالى: ﴿**أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آَلِهَتَكُمْ**﴾[1].

فأتت الإشارة اسم الإشارة هذا موصول بالاستفهام قصد التصغير والتحقير بقربة المقصود سيدنا إبراهيم عليه السلام، وفي هذا يؤكد السيوطي قائلا: "أهذا لقصد تحقيره بالقرب"[2].

وقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾[3].

وذكر ذلك في الآية الكريمة يتناسب مع تعظيم بعده ورفعه لمكانته أي مكانة كتاب الله ذلك: قصد التعظيم"[4]، أي تعظيم كتاب الله عز وجل وذلك ذهابا إلى بعد درجته"[5]، والمتدبر لكلام الله يستشعر هذه الدرر المنثورة في "ذلك" بتنوع أغراضها، فهي تلوح في العقول بأنه لم تأتي إلا لتعظيم ثم امعن النظر في الإشارة الحسية إلى الأمر المعقول (لترى أنها كما تفيد التعظيم والأهمية كذلك تشير إلى أن القرآن كالمغناطيس المنجذب إليه الأذهان والمتزاحم عليه الأنظار المجبر لخيال كل على الاشتغال به"[6]، وكأنها تتحدث بذاتها عن عظيم هذا المكنون وجميل النص الكريم، فالمتفكر يجب أن يدرك أن البعدية في هذا المقام كذلك أتت لعدة أسباب وإن قصر المقام لذكر كل الأسباب، ومما

[1]- سورة الأنبياء، الآية: 36.

[2]- السيوطي، الاتقان، ج 2، ص 349.

[3]- سورة البقرة، الآية: 02.

[4]- السيوطي، الاتقان، ج 2، ص 349.

[5]- المصدر نفسه.

[6]- بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، إحسان قاسم صالحي، شركة سوزلر، ط 3، القاهرة، مصر، 2002، ص 46.

يستفاد منها أيضا "إذ أنها كما تفيد علو الرتبة المفيد لكماله، كذلك تومئ إلى دليله بأنه يعبد عن ما سلك عليه أمثاله، فإما تحت كل وهو باطل بالاتفاق فهو فوق الكل"[1].

قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ**﴾[2].

فأتت هنا أولئك اسم الإشارة للتنبيه بعد ذكر المشار إليه بأوصاف في الآيات التي قبلها وذلك "على أنه جدير بما يرد بعده من أجلها"[3]، وذلك تنبيها لهم وناسب ذلك الحث على علو مكانتهم وعظيم منزلتهم بين الناس "فأشاروا إليهم باسم الإشارة الموضوع للمشار إليه البعيد إشعارا بارتفاع منزلتهم فوق بمن الناس، إذ منزلتهم الرفيعة جديرة بأن يشار إليهم فيها بهذه الصيغة من أسماء الإشارة"[4]، فيه مناسبة واضحة تبين تنبيههم وإشعارهم بمقامهم.

2- التعريف بالاسم الموصول "الموصولية":

وذكر السيوطي بأن التعريف بالموصولية يكون: لكراهة ذكره بخاص اسمه إما سترا عليه أو إهانة له أو لغير ذلك فيؤتى بالذي ونحوها موصول بها صدر منه من فعل أو قول"[5]، ولا ريب فإن النص القرآني قد كان في آياته عجب عجاب في نحو هذا المنهج الرائع خاصة ما سنقف عليه في سورة يوسف ... إن لم تذكر امرأة العزيز صراحة، وإنما تمت الإشارة إليها فقط، فما سر ذلك قال تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا**﴾[6].

وجاء للإشارة إليها فقط وذلك لإيراد تقرير الحدث "زيادة" تقرير وقوع الحدث، إذ كون يوسف عليه السلام في بيتها ... ومع زيادة التقرير هذا نلاحظ مضمون الثناء على عفة يوسف عليه السلام واستعصامه"[7]، أي أن الإشارة في هذا المقام تثبيت للحدث وترسيخا لعفة يوسف عليه

---

[1]- بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص 46.

[2]- سورة البقرة، الآية: 05.

[3]- السيوطي، الاتقان، ج 2، ص 349.

[4]- عبد الرحمن حسن حبنكة، البلاغة وفنونها وعلومها، ص 329.

[5]- المرجع السابق، ج 2، ص 349.

[6]- سورة يوسف: الآية: 23.

[7]- عبد الرحمن حسن حبنكة، البلاغة وفنونها وعلومها، ص 336.

السلام وإعراضه عنها، وماذا يحدث إذا ذكرت زليخة صراحة "فإنه لو قيل زليخة لم يفد ما أفاده هنا من ذكر السبب الذي هو قرينة في تقرير المراودة وهو كونها في بيتها"[1]، إذن ناسب عدم ذكر زليخة أمران أولا تقرير الحدث وثانيا تقرير المراودة وأنه في بيتها، غير أنه ذكر صاحب البحر المحيط أنه تناسب عدم ذكرها ستر لها: "ولم يصرح باسمها، ولا بامرأة العزيز سترا على الحرم، والعرب تضيف البيوت إلى النساء، فتقول ربة البيت، وصاحبة البيت"[2]، والمقصود أنه الستر على اسمها كعادة العرب عدم ذكر المرأة صراحة، أو الستر عليها وذلك بعد توبتها والله أعلم فيبقى رأي متأمل يحتمل الصواب والخطأ.

الحكمة من التناسب الحاصل في تنكير أحد وتعريف الصمد:

في وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾[3].

وذكر السيوطي جوابا أودعه في نقاط نذكرها:

1/ ذكر أحد "للتعظيم"[4] لذات الله المقدسة وأنه مهما بلغ علمك وكان زادك لا يمكن استيعابها "غير ممكن تعريفها والإحاطة بها"[5].

2/ إنه لا يمكن إدخال "ال" على الأحد وذلك لأنها قراءة شاذة.

3/ لإفادة الحصر كما ذكر السيوطي، وهو مما خطر لي أن هو مبتدأ والله خبر وكلاهما معرفة فاقتضى الحصر فعرفا الجزآن في "الله الصمد" لإفادة الحصر ليطابق الجملة الأولى"[6]، غير أنه لم يعرف "أحد" وذلك لإفادة الحصر كذلك، فأتى به على أصله من التنكير على أنه خبر ثاني ... فأتى بالجملة

---

[1]- أحمد بن علي بن عبد الكافي أبو حامد بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، مح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط 1، ج 1، 1423-2003، ص 171.

[2]- بن حيان اثير الدين الأندلسي، البحر المحيط، مح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط غ م، ج 6، 1420، ص 256.

[3]- سورة الإخلاص، الآية: 01-02.

[4]- السيوطي، الإتقان، ج 2، ص 351

[5]- المصدر نفسه، ص 351.

[6]- نفسه، ص 351.

الثانية على نحو الأولى بتعريف الجزأين للحصر تفخيما وتعظيما"[1]، وهذه الحكمة الحاصلة من تعريف الصمد وتنكير الأحد.

وختام باب التعريف والتنكير الذي أقر إني لم أوفيه حقه غير أني عرفت أن نص القرآن الكريم، كالعقد الواحد في تلاحمه وتناسبه، وإن سقطت لؤلؤة واحدة من هذا العقد أخلت بجماله ورونقه وهذا ما أضفاه التنكير والتعريف لأنه كان سرا بلاغيا واضحا لتدبر القرآن وإظهار بلاغته وترابط كلماته "وإن التعبير القرآني إذا وضع اسما معرفا في مكان، ونكرة في مكان آخر، إنما فعل ذلك لحكمة يعلمها وسر تقتضيه اللغة، وهدف يقصده المعنى ومناسبة يتطلبها السياق ... ولو حاولنا وضع أحد اللفظين مكان الآخر لاختل تناسق الآية وزال الترابط في صياغة ألفاظها"[2].

فسبحان الذي أنزل من القرآن بيان أعجز العقول على مر العصور وأدهش المشكك في كلامه.

[1]- السيوطي، الإتقان، ج 2، ص 351.

[2]- صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، عمان، ط 1، 1421-2000، ص 240.

التناسب في التأنيث والتذكير:

إن باب التأنيث والتذكير شغل حيزا واسعا عند أهل اللغة لما له من أهمية بالغة في معرفة اللغة العربية، بشتى اصنافها وفروعها وقد أفردوا له عدة مصنفات ... غير أن السيوطي في كتاب الاتقان لم يطل الوقوف عليه كثيرا وأفرده بقاعدة وبعض من الأمثلة من القرآن الكريم الدالة على تناغم النص القرآني وتناسبه مراعيا السامع منطلقا في إظهار جمال السياق الوارد فيه وكان هذا في النوع الثاني والأربعون المعنون بقواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها.

وذكر السيوطي بأنه على ضربين حقيقي وغير حقيقي:

أ- حقيقي: وهو "الذي لا يحذف تاء التأنيث من فعله غالبا إلا أن وقع فصل وكلما كثر الفصل حسن الحذف والإثبات مع الحقيقي أولى ما لم يكن جمعا وأما غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل أحسن"[1].

وجاء في المقتصد في التكملة "فما كان من التأنيث حقيقيا فإن تذكير فعله إن تقدم فاعله لا يسوغ في الكلام وحال السعة. نحو: سعت المرأة وذهبت سلمى، وقعدت أسماء فيلازم العلامة على حسب لزوم المعنى وحقيقته لتؤذن أن المسند إليه الفعل المؤنث"[2].

والتأنيث الحقيقي الأحسن أن لا يلحق به جمع ولا تثبيت "إلا أن الأحسن هذا أن لا يلحق به جمع ولا تثبيت إلا أن الأحسن هذا لا يلحق الفعل علامة تثنية والجمع لا يلزمان لزوم التأنيث الحقيقي"[3].

وقال الزمخشري: "والتأنيث الحقيقي أقوى ولذلك امتنع في حال السعة، جاء هند وجاز طلع الشمس وإن كان المختار طلعت فإن وقع الفصل نحو: حضر اليوم القاضي امرأة"[4].

---

[1]- جلال الدين السيوطي، الإتقان، ج 3، ص 344.

[2]- عبد القادر الجرجاني، المقتصد في شرح التكملة، تح: عبد الله بن إبراهيم الدرويش، ج 1، سلسلة رسائل جامعية، مملكة العربية السعودية، فهرسة مكتبة الملك فهد، 1428هـ-2007م، ص 554.

[3]- المرجع نفسه، ص 554.

[4]- الزمخشري، المفصل في الاعراب، ص 68.

"وكأن الذي يحسن هذا العمل الذي وقع بي الفاعل وفعله ومفعوله"[1].

ب- غير الحقيقي: "ومعناه أن يوجد في الاسم علامة التأنيث ولا يكون في المعنى مؤنث ويكون هذا الضرب في المعاني نحو: البشرى، واالذكرة والبشارة والتذكرة وليس مسماهما مؤنث كما كان مسمى المرأة"[2].

وليتضح الكلام فلابد من آيات كريمة توضح ما ذكر من تعاريف سابقة.

1- تأنيث الفعل للفاعل:

أ- قال الله عز وجل: ﴿**فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ**﴾

وتقدير الكلام في الآية الكريمة: فمن جاءته موعظة من ربه، فحذفت تاء التأنيث في جاءه وذكر فعل الموعظة وذلك لأن تأنيثها غير حقيقي وجاء في مفاتيح الغيب: "أما قوله فمن جاءه موعظة من ربه فاعلم أنه ذكر لأن تأنيثها غير حقيقي ولأنها في معنى الوعظ"[3].

والموعظة هنا بمعنى (التحريم أو الوعيد أو القرآن) وذكر الله عز وجل ربه في الآية "أتت مؤانسة للعبد ومناسبة للعبد ومناسبة لتسلية العبد والأخذ بالموعظة (حذف تاء التأنيث من جاءته للفصل، ولأن تاء التأنيث الموعظة مجازى .. الموعظة التحريم والوعيد ... ويتعلق من ربه بجاءته أو بمحذوف فيكون صفة وعلى التقدير فيه تعظيم الموعظة إذا جاءته من ربه الناظر له في مصالحه وفي ذكر الرب تأنيس بقبول الموعظة"[4].

ومنه "حذفت التاء للفصل ولأن تأنيث الموعظة مجازى"[5].

ب- قوله تعالى: ﴿**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ**﴾[6].

---

[1]- عبد القادر الجرجاني، المقتصد في شرح التكملة، ج 1، ص 551.

[2]- المصدر نفسه، ص 551.

[3]- فخر الدين الرازي، صفائح الغيب، التفسير الكبير، ج 7، ص 79.

[4]- بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، ج 7، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1420هـ، ص 79.

[5]- محمد عبد الخالق عظيمه، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، د.ط، د.س، ص 443.

[6]- سورة هود، الآية: 67.

وقوله تعالى أيضا: ﴿**وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ**﴾[1]

فحذفت تاء التأنيث في الآية الأولى وحذفت في الآية الثانية، قال السيوطي: "إن كثر الفصل ازداد حسنا"[2].

معقبا على الآية الأولى أما الآية الثانية فرجح "الإثبات"[3].

أي إثبات تاء التأنيث.

فذكر الفعل (أخذ) في قوم صالح إذا عدنا إلى بداية القصة وأنث الفعل (أخذ) في قصة "شعيب" فجواز الفعل وتأنيثه لأن الفاعل غير حقيقي التأنيث"[4].

واختيار التأنيث والتذكير في الآيتين فله أكثر من سبب نذكر منها:

1- "إنه أخبر عن قوم شعيب بثلاث أنواع من العذاب كلها مؤنثة الألفاظ وهي الرجفة والصيحة والظلة، فناسب ذلك التأنيث في أهل مدين"[5].

ويضيف الإسكافي في تفسيره درة التنزيل وغرة التأويل "أن هذه الثلاثة جمعت لإهلاكهم واحدة بعد أخرى.لأن الرجفةبدأت بهم فانزعجوا لها عن الكن الى البراح فلما أصروا نال منهم حر الشمس وظهرت لهم ظلة تبادروا إليها وهي سحابة سكنوا الى روح ظل تحتها فجاءت الصيحة فهمدوا لها"[6].

---

[1]- سورة هود، الآية: 94.

[2]- جلال الدين السيوطي، الاتقان في القرآن الكريم، ج 2، ص 344.

[3]- المصدر نفسه، ص 344.

[4]- فاضل صالح السامرائي، أسئلة بيانية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، ط 1، 1429-2008، ص 92.

[5]- المرجع نفسه، ص 92.

[6]- درة التنزيل وغرة التأويل، ج 2، تح: محمد مصطفي آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي، سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها، مكة المكرمة، ص 766-767.

ومنه يتضح لما جاءت "أخذت" مؤنثة وذلك بعد تتبع التفسير "فلما اجتمعت ثلاث أشياء مؤنثة الألفاظ في العبارة عن العذاب الذي أهلكوا به غلب التأنيث في هذا المكان على المكان الذي لم تتوال فيه هذه المؤنثات"[1].

وأما قول صالح فقال الله تعالى فيه: ﴿**فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ**﴾[2].

"فتناسب التوعيد بالعذاب القريب ذكر الفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب"[3].

فناسب العذاب تذكير "أخذ" والمتدبر لكلام الله عز وجل يجد أن قوم صالح أنزل فيهم العذاب الخزي في قوله تعالى: ﴿ **فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ**﴾، وقوله أيضا: ﴿**وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ**﴾، فاتضح أن التعقيب على قوم صالح كان أشد فجاء في عقوبتهم بلفظ التذكير ... ولأن المذكر أقوى من المؤنث[4].

وإضافة إلى ذلك "فإن قصة قوم شعيب في هذه السورة أطول من قصة قوم صالح"[5].

لذلك تتناسب الكلمتين مع طول القصة وإن كلمة "أَخَذَتْ" أطول من "أخذ"، فتناسب الكلمة طول القصة من جهة أخرى[6].

وقد يكون "السبب بأن الصيحة يراد بها المصدر وهو الصياح فإذا قصر ذلك يجيء الفعل مذكرا"[7].

التأنيث والتذكير في الجملة الاسمية:

قال الله تعالى: ﴿**قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي**﴾[8]

---

[1]- المصدر نفسه، ص 767.

[2]- سورة هود، الآية: 64.

[3]- فاضل السامرائي، أسئلة بيانية، ص 95.

[4]- المرجع نفسه، ص 95.

[5]- نفسه، ص 95

[6]- فاضل السامرائي، أسئلة بيانية، ص 95.

[7]- د. محمد عبد الله سعادة، من أسرار النظم القرآني، آيات وعبر، مكتبة مبارك العامة، القاهرة، ص 140.

[8]- سورة الكهف، الآية: 98.

وقع ضمير الإشارة "هذا" في محل رفع مبتدأ، "أي هذا السد نعمة الله على عباده"[1]، وأتى الخبر "رحمة" مؤنث وهذا مذكر.

قال السيوطي: حيث وقع ضمير أو إشارة بين مبتدأ وخبر أحدهما مذكر والآخر مؤنث جاز في الضمير والإشارة التذكير والتأنيث"[2].

قال الله تعالى: ﴿**فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ**﴾[3].

قرأت "فذانك" مشددة على كثير من القراءات، فذانك مخفف مثنى ذاك ومشددا مكي وأبو عمر مثنى ذلك فإحدى النونين عرض من اللام محذوفة والمراد اليد والعصا[4].

وشدد أبو عمر وابن كثير "تقوية لها لتعادل الأسماء المتمكنة وذكر لزيادة التقوية "برهانا"[5].

وبرهانان بمعنى: "أي حجتان نيرتان ودليلان واضحان وآيتان بينتان"[6]، فتناسب ذكر الحجة بالبرهان لإنارتها كما جاء على الزمخشري في الكشاف: فإن قلت لما سميت الحجة برهان ؟

قلت لبياضها وإنارتها ومنها قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا.

والدليل على الزيادة "النون" قولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم إياه بالسلطان من التسليط وهو الزيادة لإنارتها"[7].

فذانك إشارة إلى اليد والعصا والملاحظ أنهما كلا من اليد والعصا مؤنثان فلما ذكر "فذنك".

---

[1]- الثعالبي، المفصل في الإعراب

[2]- السيوطي، الاتقان، ج 2، ص 344.

[3]- سورة القصص، الآية: 32.

[4]- أبو بركات محمود حافظ الدين النفسي، تفسير النفيس (مدارك وحقائق التأويل)، ج 1، يوسف علي بديوي، تح: محي الدين مستو، دار الكلم الطيب، ط 1، بيروت، 1412هـ-1981م، ص 642.

[5]- البقاعي، نظم الدرر، ج 14، ص 282.

[6]- أبو محمد الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج 10، مر: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة، ميدا، بيروت، 1412هـ-1992م، ص 116.

[7]- الزمخشري، الكشاف، ص 500-501.

وهنا يقول ناسب تذكير "ذانك" تذكير للخبر "لكن ذكر لتذكير الخبر كما أنه قد يؤنث المذكر لتأنث الخبر"[1].

وذكر السيوطي: "كل أسماء الأجناس يجوز فيها التذكير حملا على الجنس والتأنيث حملا على الجماعة"[2]، و"كذلك كل اسم من أسماء الأجناس التي تدخل التاء في واحدة فرقا بين الجمع نحو: نخل، نخلة وتمرة، وشجر وشجرة ... فإنه يجوز فيه التذكير والتأنيث.

وقد جاء أيضا شيء من صفات المؤنث بغير علامة التأنيث كقولهم: امرأة خودٌ، وصناك وضاع..."[3].

ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿**السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ**﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿**لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً**﴾[5].

في قوله تعالى "السماء" مؤنث غير أن "منفطر به" أتت مذكرة ولم يقل منفطرة، وقال الله تعالى "منفطر به" وفي ذلك على أن السماء "تذكر وتؤنث فجاء منفطر على التذكير"[6]، وكما ذكرنا في القاعدة السالفة أن اسم الجنس يذكر ويؤنث.

كقوله تعالى: ﴿**أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**﴾[7]، فأتت صفة النخل مؤنثة ومن بين الأوجه التي أنثت اللفظة لانها اسم جنس كما نقل فاضل السمرائي في كتابه بلاغة الكلمة، إنها اسم جنس "أن النخل اسم جنس يذكر نظرا للفظ ويؤنث نظرا للمعنى وإنما وضع كل صفة بمكانها مراعاة للفاصلة"[8].

وكذلك مراعاة للمعنى لأن: "العرب قد تؤنث للكثرة وتذكر للقلة"[9].

---

[1]- بن حيان الأندلسي، البحر المحيط، م: صيدقي محمد جميل، ج 8، دار الفكر، بيروت، ط 1420، ص 1420.

[2]- السيوطي، الاتقان، ج 2، ص 345.

[3]- الأنصاري أبو البركات كمال الدين الأنباري، البلغة في الفرق بين المؤنث والمذكر، مر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 2، 1417هـ-1996م، ص 85.

[4]- سورة المزمل، الآية: 18.

[5]- سورة الأنبياء، الآية: 81.

[6]- د. محمد سعادة، من أسرار النظم القرآني آيات وعبر، ص 39.

[7]- سورة الحاقة، الآية: 07.

[8]- فاضل السمرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص ص 85-86.

[9]- فاضل السمرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 86.

وقوله تعالى في سورة القمر: ﴿**أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ**﴾[1].

أتت صفة النخل مذكرة وهذا حملا على الكثرة والقلة كما ذكرنا فالمتدبر لآيات القرآن الكريم وبلاغته يدرك من خلال السياق لماذا أتت مرة مذكرة وفي الآية الأخرى مؤنثة.

أنه قال في سورة القمر: ﴿**أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا**﴾[2]، وقال في الحاقة: ﴿**بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ**﴾[3]، بمعنى الريح التي في سورة الحاقة أشد وذلك لزيادة لفظة "عاتية".

"وإذا كانت كذلك كان تدميرها أكبر وأبلغ واقتلاعها أكثر"[4].

وكذلك اختلاف المدة بين الآيتين راجع إلى التناسب في سياق استخدام الوصف ... في سورة القمر ﴿**فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ**﴾[5]، وقال في سورة الحاقة: ﴿ **سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا**﴾[6]، "فذكر في القمر أنه أرسلها عليهم في يوم وذكر في الحاقة أنه سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فزاد في وقت التدمير والعذاب ولاشك أن طول المدة يقتضي تدمير أكثر وأبلغ، فالريح تقتلع وتدمر في سبع ليال ثمانية أيام أكثر مما تفعله في يوم"[7]، وللتطلع على هذا الباب ينظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني لفاضل السمرائي[8].

وختاما مع هذا المبحث الذي لم نوفيه حقه لما فيه من مسالك تعنى بقواعد اللغة وتجعل حقا للمخاطب والسامع ومعرفة أحواله وكما وصفه الأنباري: "اعلم إن من تمام معرفة النحو والإعراب معرفة المذكر والمؤنث لأن من ذكر مؤنث أو أنث مذكر كان العيب لازما له كلزومه من نصب أو خفض منصوبا"[9].

---

[1]- سورة القمر، الآية: 20.

[2]- سورة القمر، الآية: 19.

[3]- سورة الحاقة، الآية: 06.

[4]- فاضل السمرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 86.

[5]- سورة القمر، الآية: 19.

[6]- سورة الحاقة، الآية: 07.

[7]- فاضل السمرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 86.

[8]- المرجع نفسه، ص 86.

[9]- أبو بكر الأنباري المذكر والمؤنث، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، 1401-1911، ص 213.

التناسب في الإفراد والجمع:

إذا تأملنا جمال المفردة القرآنية، وجدنها تتسم بسياقها واتساقها التام، وكل مفردة في موقعها تزيد من جمالية النظم وتجعلنا نبحث عن سر هذا النظم البديع، والتناسب في الإفراد والجمع هو من الأساليب البلاغية التي تكمل نسيجنا وتتم ما بدأناه لتوصل الباحث الكريم إلى ساحل البر والأمان، وإن كان جهد مقل إلا أن نجعل من القارئ أو المتطلع على رسالتنا شوقه يزيد لاكتشاف أسرار هذا النظم البديع، ويعلم بأن حتى الحركة في القرآن الكريم لها موقعها الخاص بها الذي يتناسب مع موضعها فما بالك إن تحدثنا عن المفردة ويقول عبد الكريم الخطيب: "أفاض الله سبحانه عليها بكلمات، هذا الفيض، ونفخ فيه من روحه كما نفخ في عصى موسى لكنه مع ذلك أبقى على تلك الكلمات طبيعتها التي يعرفها الناس منها،كما أبقى عصا موسى طبيعتها كذلك"[1]، وعلى هذا الوصف البليغ الذي زاد الحسن حسنا فلابد لنا من وقفات مع الإفراد والجمع ونقطف ثماره مع ما ذكره العلامة جلال الدين السيوطي بأمثلة أوردها من كتاب الله عز وجل، نحاول ربطها مع التناسب المعنوي وكيف كان هذا الفن مزيجا رائعا في وحدة النص وأسراره: "إن البحث في التناسب المعنوي الذي يراعي أسرار اختيار ألفاظ القرآن ومفرداته وأبنيته وتراكيبه، وفي أوجه التناسب في اختيار كل عنصر من تلك العناصر، وفي وضعه في موضعه المقدر له السياق القريب والبعيد، داخل إطار سورة وهيكلها مترابط الأجزاء"[2].

وقف السيوطي على اللفظتين "السماء والأرض"، حيث أتت "الأرض" مفردة بخلاف "السموات" وأرجع السبب في عدم جمعها "لثقل جمعها وهو أرضون ولهذا لما أريد جمع الأرضين قال: "ومن الأرض مثلهن"[3]، فأتت مفردة رغم أن السماوات سبع والأرض كذلك ... غير أن الأرض تدل على السفل التحت، قال الزركشي في هذا الصدد: "وحكمته أنها بمنزلة السفل والتحت، ولكن وصف بها هذا المكان المحسوس فجرت مجرى امرأة زور وضيف، فلا يعني لجمعها كما يجمع الفوق

[1]- الخطيب عبد الكريم، إعجاز القرآن، ج 2، دار الفكر العربي، مصر، ط 1، 1946م، ص 295.

[2]- أحمد بوزيد، التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، ص 172.

[3]- السيوطي، الإ تقان، ج 2، ص 355.

والتحت، والعلو والسفل، فإن قصد المخبر إلى جزء من هذه الأرض الموطوءة وعين قطعة محدودة منها خرجت عن معنى السفل الذي هي في مقابله العلو. فجاز أن تثنى إذا ضممت إليها جزء آخر"[1]، فلذلك وردت مفردة ولم ترد صيغة الجمع وأتت أرضين، وذلك لسر فصاحة كتاب الله وآياته"، أخرجها على هذه الصورة التي ذهبت بسر الفصاحة وذهب بها حتى خرجت من الروعة بحيث يسجد لها كل فكر سجدة طويلة"[2]، فسبحان الله لهذا الوصف الذي جعل كل متأمل لكتاب الله ينبهر أمام هذا النظم العجيب وتناسب آياته.

فتأمل قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾[3].

ولم يقل: وسبع أرضين، لهذه الجسأة التي تدخل اللفظ ويختل بها النظم اختلالا"[4]، ومن جهة أخرى ذكرت مفردة ومن باب التقليل، "والأرض بالنسبة إلى السماوات وسعتها شيء قليل فهو وإن تعددت كالواحد القليل"[5]، ويضيف الزركشي: "وأيضا فالأرض هي دار الدنيا التي بالنسبة إلى الآخرة كما يدخل الإنسان إصبعه في اليم فما يعلق بها هو مثال الدنيا، والله تعالى لم يذكر الدنيا إلا مقللا لها"[6]، ولربما السر في ذلك كما جاء في الطراز: "أن كل واحدة من السماوات السبع مختصة بعالم من الملائكة بخلاف الأرض فإنها وإن كانت سبعا كما ورد الشرع بذلك فإن الانتفاع بما يلينا منها دون غيرها، فلهذا جرت مجرى الأرض الواحدة، فلا جرم كانت مفردة"[7].

وكذلك العدد له دخل في الإفراد والجمع كما قال العلامة السيوطي: "أنه حيث أريد العدد أتى بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة والكثرة"[8]، نحو قوله تعالى: ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ**

---

[1]- الزركشي، البرهان، ج 4، ص 06.

[2]- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ج 1، ص 160.

[3]- سورة الطلاق، الآية: 12.

[4]- المرجع نفسه.

[5]- محمد عبد الله سعادة، من أسرار النظم القرآني، ص 05.

[6]- الزركشي، البرهان، ج 4، ص 06.

[7]- حمزة العلوي اليمني، الطراز، تح: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، سيدا بيروت، ط 1، 1423هـ-2002م، ص 26.

[8]- السيوطي، الإتقان، ج 2، ص 356.

وَالْأَرْضِ﴾[1]، أي جمع من على الأرض والسماء من بشر ودواب وما من شيء إلا يسبح لله عز وجل، "جميع سكانها على كثرتهم"[2]، فتناسب مجيء السماوات جميعا مع كثرة وعظمة ساكنيها.

وحيث أريد الجهة أتى بصيغة الإفراد كقوله تعالى: ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾[3].

فهنا جاءت مفردة لما "فأفرد هنا لما كان المراد الوصف الشامل وليس المراد سماء معينة"[4].

جمع الظلمات وإفراد النور:

في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[5].

فالننظر إلى هذه الآية بتأليفها العجيب ونظمها البديع حينما تنقلت من المفرد إلى الجمع موحية بأن طريق الحق وليها الله وهو سبيلا واحدا فتناسب مع ذكرها مفردة ولها نورا واحدا وهو بابك للجنة.

أما طريق الباطل فنجد لها أبواب عدة وأولياؤها كثر من جن وإنس يزينون لك الباطل ويلبسون عليك لرؤية الحقيقة، لذلك تناسب ذكرها جمعا، "والولي الحليف فهو ينصر مولاه، فالمراد بالنور نور البرهان والحق، وبالظلمات الشبهات والشك، فالله يزيد الذين اهتدوا هدى لأن اتباعهم الإسلام تيسير لطرق اليقين، فهم يزدادون توغلا فيه يوما فيوما، وبعكسهم الذين اختاروا الكفر على الإسلام"[6].

---

[1]- سورة الحديد، الآية: 01.

[2]- الزركشي، البرهان، ج 4، ص 70.

[3]- سورة الذاريات، الآية: 22.

[4]- السيوطي، الإتقان، ج 2، ص 357.

[5]- سورة البقرة، الآية: 257.

[6]- الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، ج 3، دار تونسية، تونس، 1981م، ص 198.

ويقول السيوطي: "لأن طريق الحق واحدة وطريق الباطل متشعبة متعددة والظلمات بمنزلة طرق الباطل والنور بمنزلة طريق الحق بل هما ولهذا وحد "ولي المؤمنين" وجمع "أولياء الكفار" لتعددهم"[1].

وكذلك أفرد الله عز وجل "النار" والجنة تقع مفردة ومجموعة لعدتها، ومن ذلك إفراد النار حيث وقعت الجنة وقعت مجموعة ومفردة لأن الجنان مختلفة الأنواع فحسن جمعها والنار مادة واحدة ولأن الجنة رحمة والنار عذاب، فتناسب جمع الأولى وإفراد الثانية"[2].

وأمام كل هذه المعاني العظيمة التي جعلت الحبر يتساقط خجلا وهو متنقلا بين مفردات وجمل القرآن وكيف صيغة بهذا الأسلوب البارع وتعانقت وتلاحمت ككتلة واحدة ولابد من القول: "بأن التعبير القرآني يظل جاريا على نسق واحد من السمو في جمال اللفظ وعمق المعنى ودقة الصياغة وروعة التعبير، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة من التشريع والقصص والمواعظ ... وتلك حقيقة شاقة، بل لقد ظلت مستحيلة على الزمن لدى فحول علماء العربية والبيان"[3].

مقابلة الجمع بالجمع:

نحو قوله تعالى: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ**﴾[4]

فذكرت الوالدات جمعا وأولادهن جمعا أي كل أم ترضع ولدها، فتناسب ذكر الجمع على حسب الخطاب الموجه لكل الأمهات "أي كل واحدة ترضع ولدها"[5].

مقابلة الجمع بالمفرد:

نحو قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾[6].

---

[1]- السيوطي، الإتقان، ج02، ص 357.

[2]- المصدر نفسه، ج02، ص 357.

[3]- سامي محمد هشام حويني، خطرات من الإعجاز البياني في القران الكريم، رسالة ماجستير، تخصص أصول الدين، الجامعة الأردنية، دار الشوق، عمان، 2006، ص 67.

[4]- سورة البقرة، الآية: 233.

[5]- بن حيان أثير الدين الالوسي، البحر المحيط في التفسير، ج 02، ص 191.

[6]- سورة البقرة، الآية: 257.

فجمع "الطعام" وأفرد "المسكين"، "قرأ الجمهور فدية طعام مسكين بتنوين الفدية، ورفع الطعام، وإفراد مسكين"[1].

فناسب الجمع الإفراد وذلك "إفراد العموم" أي على كل واحدة ممن يطيق الصوم لكل يوم يفطره إطعام مسكين ... وتبين من إفراد المسكين أن الحكم لكل يوم يفطر فيه مسكين ولا يفهم ذلك من الجمع"[2].

وهذا ما قاله السيوطي مفسرا لهذه الآية: "وأما مقابلة الجمع بالمفرد، فالغالب ألا يقتضي تعميم المفرد وقد يقتضيه"[3] المعنى "لكل واحد لكل يوم طعام مسكين"[4].

وهكذا فإن بناء المفردة لم يكن بناء اعتباطيا من دون هدف في بنائه فإن أي تعبير فيها هو لقصد يرمي إليه المنشئ في النص ... فإن أفردة المفردة أو ثناها أو جمعها لغاية دلالية فيها هذه الغاية الدلالية خاضعة للسياقات الكلامية الواردة فيها من حيث حال المتكلم والطرف الذي هو فيه ... ومن حيث حال المتلقي"[5].

وخلاصة القول تضمنت في طياتها أبعادا دلالية وجمالية من حيث التناسب في تراكيب آي القرآن الكريم مما حظي في شكلها النحوي البلاغي في شقيه النظري والتطبيقي.

[1]- بن حيان أثير الدين الالوسي، البحر المحيط في التفسير، ج 02، ص 191.

[2]- السيوطي، الإتقان، ج02، ص 358.

[3]- بن حيان أثير الدين الالوسي، البحر المحيط في التفسير، ج 02، ص 191.

[4]- المصدر نفسه، ص 191.

[5]- حيدر جبار عيدان، مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، العدد الثلاثون، صفر 1441هـ-2019م، ص 177.

الفصل الثاني

التناسب في بدائع القرآن الكريم

علم البديع هو علم كثير المحاسن جميل المسالك أساس من أسس علم البلاغة وهو باب من أبواب إعجاز القرآن الكريم فهو علم يبحث في طرق بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي وسمي بديعا لأنه لم يكن معروفا قبل وضعه.[1]

وأول من دون قواعد لبديع ووضع أصوله "عبد الله بن المعتز وهو أحد الشعراء المطبوعين والبلغاء الموصوفين"[2]، فجمع ما في القرآن واللغة وأحاديث لرسول صلى الله عليه وسلم ثم كلام الصحابة ثم الشعر وغيرهم من كلام في كتاب وسماه "البديع" ويقول في كتابه: ليُعلم أن بشارً ومسلما وأبا نواس ومن تقبلهم وسلك مسلكهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعُرف في زمانهم حتى سُمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه.[3]

وكلمة البديع وردت مرتين في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[4]

وقوله تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[5]، وجاء في كتاب المفردات في غريب القرآن "الإبداع: إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء ... وإذا استعمل في الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آية"[6]، وجاء في معترك الأقران بديع: مخترع- وخالق[7].

وبما أن دراستنا البديع في القرآن الكريم فوجب أن نسلط عليها الضوء على يد العلامة السيوطي فقد أطلق لفظ: بديع القرآن على النوع الثامن والخمسون "فبدائع القرآن" وافتتحه بالحديث

---

[1]- إبراهيم شمس الدين، الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003-1423هـ، ص 05.

[2]- المرجع نفسه، ص 05.

[3]- عبد الله المعتز، كتاب البديع، أغناطيرس كرائشفوفكس، أكاديمية العلوم في لينيغراد، ص 01.

[4]- سورة البقرة، الآية: 117.

[5]- سورة الأنعام، الآية: 101.

[6]- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرا: صفوان عدنان الداودي، ج 01، دار القلم، دار الشامية، دمشق، بيروت، ط 1، 1412، ص 110.

[7]- السيوطي، معترك الأقران ج2، ص 80.

عن ابن أبي الأصبع فقال: "أفرده بالتصنيف ابن أبر الأصبع فأورد فيه نحو مائة نوع"[1]، وذكر أقسام البديع وممثلا لها ومنها ما ذكرها في هذا النوع ومنها ما ذكرها في أنواع أخرى، تقدم ذكرها في الفاصلة كحسن التخلص والاستطراد وفي المناسبة حسن الابتداء وبراعة الختام وفي الإيجاز والإطناب ذكر التعريض والاحتباك...الخ، ومن ثما قال: "وها أنا أورد الكتاب، وقد أورد العلامة السيوطي في كتابه: معترك الأقران"[2]، البديع كوجه من أوجه الإعجاز: "وهذا الوجه ملحق بالإعجاز البلاغي لأن البديع أحد أقسام البلاغة الثلاثة، ولعل إفراده بالذكر هنا من باب إبرازه وإظهاره".[3]

وعرفه قائلا: "وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة".[4] وهو سر بليغ لمعرفة أوجه الكلام فهو عجيب في فصاحته غزيرا في لطائفه جزيلا في بلاغته ونظمه وقال السيوطي: "أسرار هذا الكلام الذي أعجز العقول ذوي الأفهام عن إدراك عجائبة التي لا تنقضي لأنه في أحسن نظام".[5]

وبعد جولتنا السريعة في هذه التوطئة لعلم البديع فوجب الان اختيار الأنواع التي ذكرها السيوطي الأقرب لتناسب والذي يظهر القرآن الكريم لحمة واحدة متآلفة متناسبة في حلتنا أجمل من السحر ببديعها الذي يجعل المتدبر للقرآن الكريم تخشع روحه وتهتز أوتاره لنظمه مع تخلله بهذه الأنواع البديعية التي أعجزت العقول وحيرت الأدباء والبلغاء عبر العصور.

1- التورية:

وأردفها السيوطي بقوله: "الإيهام وتسمى الإيهام والتخييل والمغالطة والتوجيه ويريد المعنى البعيد، ويوهم السامع أنه أراد القريب"[6].

---

[1]- السيوطي، الإتقان، ج 03، ص 284.

[2]- المصدر نفسه، ج 03، ص 285.

[3]- د. محمد موسى شريف، الإعجاز العلمي بين السيوطي والعلماء، دراسة نقدية ومقارنة، رسالة شهادة الدكتوراه، جامعة أم القرى، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط 02، 1422هـ- 2002م، ص 287.

[4]- السيوطي، معترك الأقران، ج01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1408هـ- 1988م، ص 283.

[5]- المصدر نفسه، ج 01، ص 283،

[6]- الزركشي، البرهان، ج 3، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ص 445.

وذكر السيوطي: "أن يذكر لفظ له معنيان إما بالاشتراك او التواطؤ أو الحقيقة والمجاز أحدهما قريب والآخر بعيد ويقصد البعيد الموري عنه بالقريب فيتوهمه السامع من أول وهلة".[1]

إذن التورية أو الإيهام هي فن من فنون البديع وهو من "مصدر" ورّى بتضعيف الراء توريه، يقال: "ورّيت الخبر: جعله ورائي وسترته واظهرت غيره، كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر"[2] وهي أن يذكر لفظ له معنيان ظاهر غير مقصود وآخر بعيد خفي مقصود.

وجاء في التلخيص: "التورية، وسمي الإيهام وهو: أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويُراد البعيد"[3]، وذكر بأنها على ضربين مجردة، ومرشحة، ونقل السيوطي في معترك الأقران في إعجاز القرآن عن الزمخشري قال: "لا ترى بابا في البيان أدق ولا ألطف من التورية ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم"[4] نحو قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[5] فالاستواء في الآية الكريمة على ضربين:

الأول: "الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب الموري به الذي هو غير مقصود لتنزيهه تعالى عنه"[6] أما المعنى الثاني وهو المراد والمقصود "وهو لاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذي ودّى عنه بالقريب المذكور".[7]

وكما ذكرنا سالفنا أن التورية لها أنواع فهذه التورية تسمى مجردة: وهي التي لم يذكر فيها لازم شيء من لوازم الموري عنه، وهو المعنى البعيد[8].

---

[1]- السيوطي، الاتقان، ج 03، ص 285.

[2]- د. عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 122.

[3]- جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، التلخيص في علوم البلاغة، ش ظ، عبد الرحمن البرقوني، دار الفكر العربي، ط 01، 1904، ص 359- 360.

[4]- ، السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن .ج01، ص 283.

[5]- سورة، طه، الآية: 04.

[6]- السيوطي، الاتقان، ج3، ص 385.

[7]- المصدر نفسه.

[8]- د. عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 126.

وسمي كذلك لأنها لم تذكر اللوازم: لأنها لم يذكر فيها شيء من لوازم المُوري به ولا الموري عنه[1]، ومنه مرشحه: "وهي التي ذكر فيها شيء من لوازم هذا وهذا».[2] بمعنى أنه فيها الموري «التي قرن بها ما يلائم الموري به".[3]

نحو قوله تعالى:﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾[4].

فذكر الأييد والمراد بها "القوة الخارجة".[5]

فقد ناسب ذكره القوة والقدرة كما ذكر السيوطي قائلا: "فإنه يحتمل الجارحة وهو الموري به وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البُنيانُ ويحتمل القوة والقوة والقدرة وهو البعيد وهو المقصود".[6] فهذه نكت بليغ عجيب في التورية ونوعيها وتناسب لوازمها.

2- الالتفات:

يعد الالتفات من بين أهم مباحث البديع وأكثرها انتشارا في القرآن الكريم "اعلم أن الالتفات من أَجَلِّ علوم البلاغة وهو أمير جنودها، والواسطة في قلائدها وعقودها، وسمي بذلك أخذا من التفات الإنسان يمينا وشمالا، فتارة يقبل بوجهه وتارة كذا، وتارة كذا، فهكذا هو حال هذا النوع من علم المعاني، فإنه في الكلام ينتقل من صيغة إلى صيغة، ومن خطاب إلى غيبة، ومن غيبة إلى خطاب إلى غير ذلك من أنواع الالتفات[7]، فهذا تصور بليغ للولوج إلى المصطلح لغويا: الالتفات لغويا، اللّي والصرف والتحول.

---

[1]- السيوطي، الاتقان، ج3، ص 385.

[2]- المصدر نفسه، ج3، ص 385.

[3]- الخطب القزويني، إبراهيمي شمس الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2003، 1423، ص 267.

[4]- سورة الذاريات، الآية: 47.

[5]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج03، ص 445.

[6]- السيوطي، الاتقان، ج3، ص 286.

[7]- حمزة العلوي البصير، الطراز، تح: عبد الحميد هنداوي، ج2، مكتبة العصرية، سينا، بيروت، ط01، 1423هـ- 2002م، ص 41.

وتقول: لفته بلفته إذا أراد عنقه عن اليمين إلى الشمال والعكس"[1]، وجاء في لسان العرب: "واللفت: اللّيّ ولفته بلفته لفتا: لواه على غير جهته، ولفته عن الشيء بلفته لفتا: صرفه...ولفت فلان عن رأيه أي صرفته عنه ومنه الالتفات"[2].

ومن هذه التعاريف اللغوية يتضح أن الالتفات هو صرف والتحول: "فالمادة اللغوية والمعجمية للالتفات تدور في عمومها، كما نرى- حول محور دلالي واحد وهو المتحول أو الانحراف عن المألوف من القيم أو الأوضاع أو أنماط السلوك".[3]

أما ناحية الاصطلاحية فقد ذكر السيوطي في كتابه الاتقان: "نقل الكلام من أسلوب إلى آخر أعني من المتكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول وهذا هو المشهور"[4]، ونقل السّكاكيّ بعض من فوائد الالتفات: "منها نظرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس عن حب التنقلات والسآمة من استمرار للسامع وتجديد لنشاطه على منوال واحد وهذه فائدته العامة"[5] وهذه فائدة تجعل ذهن المستمع في نشاط دائم وتهيأ للمخاطب كما ذكر الزمخشري: "وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب لخاطره من الملال والضجر بدواء الأسلوب الواحد على سمعه".[6]

إذن هو حيازة اللسان على التكلف وتجنب المخاطب من الملل وأوجزه أبو هلال العسكري في قوله: "الالتفات في ضربين، فواحد أن يفرغ المتكلم من المعني فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به"[7].

---

[1]- د. عيسى علي العاكوب، أ. علي سعيد ستوي، الكافي في علوم البلاغة، الجامعة المفتوحة، الاسكندرية، القاهرة، 1993، ط01، ص 150. دار الكتب الوطنية، بنغازي.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مادة "لفت" ص 4051.

[3]- حسن طبل، كتاب أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، د ط، 1998- 1428هـ، مدينة نصر، القاهرة، ص 11.

[4]- السيوطي، الاتقان، ج3، ص 289.

[5]- المصدر نفسه، ج 3، ص 289.

[6]- الزركشي، البرهان، ج3، ص 314.

[7]- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص 265.

وسنذكر فيما يلي أضرب الالتفات وكيف تنتقل لكل ضرب فائدته ونكت تليق به.

أ- من المتكلم إلى الخطاب:

ومن أمثلته قوله تعالى:﴿**وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [1]

وفي الآية الكريمة فائدته الاختصاص لأنه خص المخاطب بالنصح وقد قدم الجار والمجرور (إليه) على (ترجعون) لقصد الاختصاص والمعنى "أن الرجوع إليه حصرا لا إلى غيره"[2] والأصل إليه أرجعُ "فالتفت من التكلم إلى الخطاب"[3]، وهذا ليتلطف بالمناصحة لهم كما أدرج الزركشي في كتابه "الكشاف" ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولأنه أدخل في إمحاض النصح لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه"[4].

فيظهر من صيغة الخطاب أنه ابتدأ بنفسه بقوة "مالي لا أعبد" ومن ثم وجه الخطاب لهم بقوله "إليه ترجعون" "فغير خطابه ليتناسب مع المعنى المراد إيصاله"[5] وذلك من تمام فطنته وعظته لهم.

وهنا يظهر بأنه لها يريد في كلتا الجملتين نفسه وذلك "بأنه لو كان المراد ذلك لما صح الاستفهام الانكاري لأن رجوع العبد إلى مولاه ليس بمستلزم أن يعيده غير ذلك الراجع"[6]، ولو قال "إليه ترجعون" وذلك لتكتب بليغة متناسبة مع تنبيهم "ذلك أفاد فائدة حسنة وهو تنبيهم على أنه مثلهم في وجوب عبادة من إليه الرجوع"[7].

---

[1]- سورة يس، الآية: 21.

[2]- فاضل السامرائي، علي الطريق التفسير البياني، ج2، كلية الآداب، جامعة الشارقة، 1425/ 2003، ص 71.

[3]- السيوطي، الاتقان، ج3، ص 289.

[4]- الزركشي، الكشاف، تح: عادل أحمد عبد الموجود، شيخ علي معوض وآخرون، ج05، مكتبة العبيكلة، ط01، 1418-1998، الرياض، ص 172.

[5]- إقبال وافي نجم الدين، التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، رسالة ماجستير، كلية الفقه، جامعة الكوفة، 1430هـ- 2009م، ص 73.

[6]- السيوطي، الاتقان، ج 03، ص 289.

[7]- المصدر نفسه، ج 03، ص 289.

ب- من المتكلم إلى الغيبة: "ووجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع حضُر أو غاب وأنه ليسقي كلامه ممن يتلون ويتوجه ويبدي في الغيبة خلاف ما يبديه في الحضور"[1]، أي تناسب حال الخطاب مع السامع سواء في الحضور أو الغياب.

نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾.[2]

والمقصود "لنغفر لك"[3]، فأتى الإخبار بالماضي "وجيء بالإخبار به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في اخباره، لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى".[4]

وجاء الإخبار بالماضي لدلالة على أن الخبر سيقع قبل حدوثه كما ذكر الزمخشري.

ج- من الغيبة إلى التكلم:

نحو قوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**﴾[5]

فقوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى**﴾، أمرا غيبيا أي "وارد على جهة الغيب"[6]، ثم يتبعه بقوله تعالى: ﴿**الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾، ليلتفت مرة أخرى إلى التكلم "فهذا وارد على جهة التكلم"[7] لينقل السامع مجددا إلى الغيب "ثم التفلت إلى الغيبة"[8] فقال "إنه هو السميع العليم" وهكذا أجمع السيوطي إن الآية الكريمة حوت أربع مواضع للالتفات "وعلى قراءة الحسن ليريه: بالغيبة التفات ثابت من "باركنا" وفي آياتنا التفات ثالث وفي "إنه" التفات رابع.[9]

---

[1]- السيوطي، الاتقان، ج 03، ص 290.

[2]- سورة الفتح، الآية: 01.

[3]- السيوطي الاتقان، ج 03، ص 291.

[4]- الزركشي، الكشاف، ج 05، ص 534.

[5]- سورة الإسراء، الآية: 01.

[6]- حمزة العلوي، الطراز، ج02، ص 73.

[7]- المرجع نفسه.

[8]- السيوطي، الاتقان، ج3، ص 292.

[9]- المصدر نفسه، ج3، ص 292.

ونقل عن الزركشي بأن فائدة الالتفات في هذه الآيات وأمثالها: "التنبيه على التخصيص بالقدرة وأنه لا يدخل تحت قدرة أحد".[1]

خ- من الغيبة إلى الخطاب:

وكما ذكر السيوطي في هذا النوع أن "من محاسنه ما وقع في سورة الفاتحة"[2]

ففي قوله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[3] فهو لتخصيص الله عز وجل يملك الأمو أي "أنه مالك الأمر كله يوم الجزاء بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات"[4] وفي بداية السورة أختير لفظ "الحمد" للخطاب بالغيبة "وهو للغائب ولو أراد الخطاب لقال – الحمد لك، لأنك أنت رب العالمين".[5]

وقال السيوطي: إنما اير لفظ الغيبة للحمد وللعباد الخطاب للإشارة إلى أن الحمد دون العبادة في الرتبة لأنك تحمد نظيرك ولا تعبده فاستعمل لفظ "الحمد"[6]، واستعمل لفظ الحمد مع الغيبة أما العبادة مع الخطاب وذلك ليناسب حال المخاطبة والمواجهة ما هو أعلى رتبة وفائدته "لينسب إلى العظيم المخاطبة والمواجهة ما هو أعلى رتبة وذلك على طريق التأدب"[7] .

وعلى هذا السبيل جاء قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**﴾ فذكر المنعم وهو الله عز وجل: وإسنادا لإنعام إليه لفظا ولم يقل "صراط المنعم عليهم"[8] ولما انتقل في حديثه عن الغضب "روى عنه لفظة فلم ينسبه إليه لفظا وجاء باللفظ منصرفا عن ذكر الغاضب"[9]، ومن لطائف هذا الالتفات وتنقل من حال إلى حال: التنبيه على مبتدأ الخلق الغيبة منهم عنه سبحانه وتعالى وقصورهم عن

---

[1]- السيوطي، الاتقان، ج3، ص 293.
[2]- المصدر نفسه، ص 293.
[3]- سورة الفاتحة، الآية: 03.
[4]- السيوطي، الاتقان، ج 03، ص 292.
[5]- حمزة العلوي اليمني، الطراز، ص 73.
[6]- السيوطي، الاتقان، ج3، ص 292.
[7]- المصدر نفسه، ص 292.
[8]- نفسه، ج 3، ص 293.
[9]- نفسه، ص 293.

محاضرته ومخاطبته وقيام حجاب العظمة عليهم فإذا عرفوه بما هو له وتوسلوا للقرب بالثناء عليه وأقروا بالمحامد له تعبدو بما يليق له تأهلوا لمخاطبة ومناجاته فقالوا: "إياك نعبد وإياك نستعين".[1]

وهذا ما كان منا في هذا المبحث وإن تنوعت أسباب وأساليب الالتفات التي تناسب مع حال المخاطب والانتقال بها من صيغة إلى صيغة وكل مرة تختلف لطائفه "فالالتفات وسيلة من وسائل الكشف عن وجوه الترابط والتناسب بين أمرين أو قضيتين مهما اختلف أسلوب الخطاب بها، أو زمن وقوعها، أو الزمن الذي تحدث به القرآن الكريم عنها"[2].

الائتـــلاف:

الائتلاف من الفعل ائتلف، وائتلف القوم ائتلافا، ألف بعضهم بعضا[3]. وقال أحمد الدمنهوري الائتلاف الجمع بين متناسبين في الفظ أو المعنى وهو أن يجمع بين اثنين في الكلام "جمع تناسب"[4]، ومنه فإن الائتلاف الجمع والربط بين الكلام سواء جمع تضاد[5]، وقد ذكر في كثير من الكتب بـ"مراعاة النظير ويسمى هذا اللون من البديع: ائتلاف اللفظ مع اللفظ، أو مراعاة النظير، أو الائتلاف أو التناسب أو التوافق"[6]، فالائتلاف من المحسنات البديعية اللفظية التي فحواها الجمع بين الكلام من ناحية اللفظ أو المعنى أو غرابة الكلام أو تداوله "ومن الائتلاف في الألفاظ أن ينتقى في النص من الكلمات ما يكون من نوع واحد، كأن تكون الكلمات من نوع الغريب أو نوع التداول،

[1]- السيوطي، الاتقان، ج3، ص 293.

[2]- إقبال وفي نجم الدين، التناسب في دوره الإعجاز القرآني، ص 75.

[3]- إنعام فوال عكاوي أحمد شمس الدين، المعجم المفصل في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 2، 1417هـ- 1996م، ص 07.

[4]- الشيخ أحمد الصنهوري، حلية اللب المصون على الجوهر المكنون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص 168.

[5]- علم البديع، د. محمود أحمد حسن المراغي، دار العلوم العربية، بيروت- لبنان، ط 01، 1411هـ- 1991م، ص 72.

[6]- د. عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، نصر، القاهرة، د.ط، 1419هـ- 1999م، ص 38.

أو مما يلائم العامة، أو مما يلائم الخاصة، أو مما يلائم مخاطبين معنيين ذوي تخصص واحد من تخصصات المعارف والعلوم والصناعات والمهن".[1]

وقد ذكر السيوطي بأنه على ضربين "ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى".[2]

فأمام ائتلاف اللفظ مع اللفظ: "أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضا بأن يقرن الغريب بمثله والمتداول بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة"[3]، وهنا وجه المناسبة يكون في توافق الألفاظ في السياق وتناسبها وذلك لحسن الجوار أي: أن نستعمل للمعاني المختلفة ألفاظا يناسب بعضها بعضا.[4]

وأما ائتلاف اللفظ للمعنى فقال السيوطي: "أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد، فإن كان فخما كانت ألفاظه فخمة أو جزلا فجزله أو غريبا فغريبة أو متداولا فمتداولة أو متوسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك"[5].

وإذا كان الأول تناسب الألفاظ بعضها لبعض فكان الثاني تناسب اللفظ للمعنى وذلك من كل النواحي كمحاكاة الألفاظ لمسميات الأصوات "أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد منها، ومن هذه الملائمة أن يحكي الصوت الكلمة صوتا يوجد فيه فيما دلت عليه، مثل: "حفيف" لحركة أوراق الشجر"[6]، فجاء الاسم مناسب لحركة صوت الشجر ويتناغم معه كأنه جزء منه، وعلى ذلك اختير المعنى من حيث بما يناسب الألفاظ وكل لفظ وضع في قالب يليق به من حيث المعنى فأنتج نوعا بديعيا براقا ووضع البلاغة في أحسن صورها.

---

[1]- عبد الرحمن بن حسن حنبكة الميداني الدمشقي، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط 01، 1416 هت- 1996م، ج 02، ص 520.

[2]- السيوطي، الاتقان، ج 03، ص 299.

[3]- المصدر نفسه، ج 03، ص 299.

[4]- السيد جعفر يافر الحسني، أساليب البديع في القرآن الكريم، مؤسسة بوستان، كتاب لإيران، ط 01، 1429هـ- 2008م، ص 422.

[5]- السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 299.

[6]- عبد الرحمن بن حسن حنبكة الدمشقي، البلاغة العربية، ج 02، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط 01، 1416هـ-1996م، ص 520.

"وإذا كان اللفظ رقيقا اختيرت له ألفاظ رقيقة تلائمه. وغذا كان المعنى خشين اختيرت له ألفاظا خشنة تلائمه...الخ"[1]، ويتغير اللفظ وحركته وجماله على حسب استعماله ومعناه والمقام الذي يوضع فيه "فألفاظ الحب والغزل غير ألفاظ العتب والتثريب، وألفاظ المدح غير ألفاظ الهجاء، إنه ليس من المستحسن في المدح: أن يقال ثقيل الجود، ولا أن يقال في الغزل: ثقيل الحب"[2]، وهكذا.

ولابد لضرب بعض من الأمثلة التي اوردها السيوطي في هذا المقام ليتضح المعنى أكثر:

أ- ائتلاف اللفظ مع اللفظ:

قال الله تعالى في سورة يوسف: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**﴾[3]

فألمتأمل للآية الكريمة بلحظ "تاء" القسم كيف أتت في بداية الآية "وهي اغرب حروف القسم»[4]، ولما كانت حالة يعقوب أشد حزن وأضناه الأسى أتى بالفظ: نفتأ" ولفظ "حرضا" واللفظ: تفتأ «من أغرب أفعال الاستمرار"[5]، وذكر السيوطي بأنه أتى بأغرب ألفاظ القسم وهي التاء، فإنها أقل استعمالا وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو[6]، وذكر اللفظ تفتأ مناسبة للقسم وجاءت في سياقها لتشد سماع المتلقي ولم يذكر "تزال" وفي ذلك يقول السيوطي على لفظ تفتأ «أغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار فإن "تزال" أقرب إلى الأفهام وأكثر استعمالا منها»[7]، ويكتمل جمال هذا النظم باختيار أشد ألفاظ الحزن بقوله: "حرضًا" "وأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحرض فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاوز كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة"[8]،

---

[1]- عبد الرحمن بن حسن حنبكة الدمشقي، البلاغة العربية، ص 520.

[2]- المرجع نفسه، ص 521.

[3]- سورة يوسف، الآية: 85.

[4]- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعنى والبيان والبديع، تح: د. يوسف الصميلي، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، ص 334.

[5]- المصدر نفسه، ص 335.

[6]- السيوطي، الاتقان، ج 03، ص 299.

[7]- المصدر نفسه، ص 299.

[8]- نفسه، ص 300.

والحرض في هاته الآية: "الحرض في اللغة هو الذي أضناه الحزن والعشق، وهو به شديد المرض، وهذا اللفظ من الألفاظ الغريبة".[1]

وفي هذه الآية الكريمة يظهر حسن تناغمها وتناسبها من ناحية ائتلاف الألفاظ وغرابتها "توخي لحسن الجوار ورغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ ولتتعادل الألفاظ في الوضع وتتناسب في النظم".[2]

ب- ائتلاف اللفظ للمعنى:

قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾[3].

والمتدبر للآية الكريمة يبهر بهذا التلائم والتناسب العجيب بين اللفظ والمعنى وفي قوله: "تركنوا" و"تمسكم" وقوله "ظلموا" و"النار" فسبحان الذي أعجز العقول بسحر بيانه وبديع نظم قرآنه، "فلما كان الركون إلى الظالم وهو الميل إليه والاعتماد عليه دون مشاركته في الظلم"[4]، بمعنى "دون انغماس معهم في الظلم"[5]، أي ليس الاشتراك في هذا الجرم بشكل رسمي فلازم أن يكون العقاب كذلك من جنس العمل فأتى بلفظ "اللمس" الذي هو دون الإحراق والإلصاق[6].

فالله عز وجل في الآيات الكريمة يحذر من الميل إلى الظالمين وإلا سيكون العقاب بمس النار وهذا قمة التناغم والتناسب بين اللفظ والمعنى "نحن عن الركون للظالمين ...كان ذلك دون مشاركتهم في الظلم ... أخبر أن العقاب على ذلك دون عقاب الظلم، وهو مس النار دون الدخول فيها والإحراق والاصطلاء"[7].

---

[1]- عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، البلاغة العربية، ج 02، ص 521.

[2]- السيوطي، الإتقان، ج03، ص 300.

[3]- سورة هود، الآية: 114.

[4]- السيوطي، الإتقان، ج 03، ص 300.

[5]- عبد الرحمن حبنكة الدمشقي، البلاغة العربية، ص 522.

[6]- السيوطي، الاتقان، ج 03، ص 300.

[7]- عبد الفتاح لاشين، البديع في أسلوب القرآن الكريم، ص 52.

وبهذه الآيتين الكريمتين يظهر نظم القرآن الكريم وتناسقه حيث كانت كل لفظ تحاكي معناها من حيث الموقع والجمال من خلال هذا الأسلوب البديعي وسهولته فكل لفظ يسكن إلى جاره ويطمئن إليه فيبرز الكلام كحبات اللؤلؤ المتناسقة، نظر لتآخي وتوافق وتناسب الكلمات بجانب بعضها البعض فعندما يعرض الإنسان لموضوع من الموضوعات وتتداعى له المعاني وتناسق إلى ذهنه ووجدانه.

فإن هو رتبها ونظمها ونسقها وراعى نظائرها جاء الأسلوب كحكما لا ثغر فيه، وإن فرقها ولم يقرن اللفظ بما يناسبه والمعنى بما يلائمه فإن أسلوبه يأتي قبيحا يجمع شتات من الألفاظ المتعادية المتنافرة[1] .

المشاكلة:

المشاكلة من شاكل مشاكلة الشيء مائلة وواقفة وقيل المثل والنظير[2] وذكر السيوطي (ت911هـ) في كتابه عقود الجهان: المشاكلة لغة المماثلة.[3]

ونقلت الدكتورة عائشة في كتابها وشي الربيع عن ابن الأصبع: "هو ان يأتي المتكلم في كلامه أو الشاعر في شعره باسم من الأسماء المشتركة في موضوعين فصاعدا من البيت الواحد، وكذلك الاسم في كل موضع من الموضوعين مسمى غير الأول قول صيغته عليه بتشاكل إحدى اللفظين في الخط أو اللفظ ومفهومها مختلف"[4] أي أن المشاكلة هي التحدث عن شيء بلفظ، والمفهوم مختلف "هو ذكر الشيء يلفظ غيره لوقوعه في صحبته أو بلفظ مضاد للمصاحب أو مناسب".[5]

[1]– د. عائشة حسين فريد، وشي الربيع بالوان البديع، دار قباء، القاهرة، د.ط، 2000، ص 42.

[2]– إنعام فوال العكاوي، م– أحمد شمس الدين، المعجم المفصل في علوم البلاغة، ص 649.

[3]– جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص 110.

[4]– عائشة حسين فريد، وشي الربيع في ألوان البديع، ص 54.

[5]– عبد العاطي غريب غلام، دراسات البلاغة العربية، د ص 180.

وذكر السيوطي في "الاتقان" والسكاكي في كتابه "المفتاح" بأن المشاكلة: "ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا"[1].

وتعتبر المشاكلة من المحسنات البديعية المعنوية "وإن كانت تتعلق بالألفاظ لأنها تنقل المعنى من لباس إلى لباس، لأن اللفظ بمنزلة اللباس للمعنى، ففيها إيراد للمعنى في صورة عجيبة، غير مألوفة فتحدثا عجبا وطربا فضلا عن ما في بعض ضررها من مجاز يزيد أثره في بلاغة العبارة وجمال الأسلوب".[2]

أ- تحقيق: "وهي أن يكون المصاحب مذكورا في اللفظ".[3]

وقد ذكر السيوطي مثالا على ذلك قوله تعالى: ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾[4]

وقوله تعالى: ﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ**﴾.[5]

فلفظتين "النفس" و"المكر" فالآيتين الكريمتين المقصود به "الله عز وجل" إنما أتت مشاكلة ومناسبة لسياق الآية.

فالنفس "الروح"[6] "وتعلم ما في نفسي" بمعنى "ذاتي"[7] وقد ذكر النفس لأن «النفس مظنة الكتم والانطواء على المعلومات"[8]، والمقصود أن الله عز وجل "يعلم ما في نفس عيسى ويعلم كل أمره"[9].

---

[1]- ينظر: السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 322، مفتاح العلوم، علي السكاكي نعيم زرزور، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، ط 02، 1407 هـ- 1987، ص 424.

[2]- عبد العاطي غريب، غلام، دراسات في البلاغة العربية، جامعة فاس تونس، بنغازي، ط 01، 1997، ص 180.

[3]- المرجع نفسه، ص 181.

[4]- سورة المائدة، الآية: 116.

[5]- سورة آل عمران، الآية: 54.

[6]- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت محمد سيد كيلاني، مطبعة الميمة، القاهرة، 1324هـ، ص 501.

[7]- عبد الله بن أحمد النفير، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج1، السيد زكرياء، مكتبة نزار مصطفى الاز، ص 304.

[8]- تفسير التعابير، ص 440.

[9]- المرجع نفسه، ص 440.

والمكر: هو الحيلة "وصرف الغير عما يقصده بحيلة".[1]

والمتأمل لهذا النسيج الساحر والجمال البارع للولهة يقول هل النفس قصد به الذات الإلهية وهل المكر في هذه الآية الكريمة مقصود به مكر الله عز وجل؟؟!

لذلك وجب أن يظهر هذا الأسلوب البلاغي العجيب ليجيب عن هذه الاستفسارات وبأن المكر والنفس في الآيات الكريمة ما عندك من معلومات وما أحطت به[2]، وقيل "البعض إضافة النفس إليه تعالى إضافة الملك"[3] وإنما ذكرت النفس هنا من باب المشاكلة، فقوله تعالى لا أعلم مافي نفسك معناه لا أعلم عندك من معلومات وما أحطت به وإنما ذكرت النفس هنا من باب المشاكلة أما المكر الله في الآية الكريمة المقصود به "العقوبة" ... وذلك مهيع أن تسمى العقوبة باسم الذنب".[4]

ب– التقدير: "وهي أن ألا يكون المصاحب موجودا لفظا وليس في الكلام ما يدل عليه بل وجوده خارج العبارة"[5] ونجد هذا النوع في كثير من الآيات القرآنية "وقد يؤثر القرآن المشاكلة اللفظة بناء على كلام مقدر فيؤثر اللفظ الذي يناسب المعنى ويحقق هذا الغرض البلاغي في آن واحد"[6]، وقد ذكر السيوطي مثالا على ذلك في سورة البقرة نحول قوله تعالى: ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**﴾[7]

والصبغة في الآية الكريمة بمعنى "الدين"[8] و"الفطرة"[9] وتصبغ فلان في الدين إذا حسن وتمكن فيه.

---

[1]– الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 471.

[2]– تفسير الثعالبي، ص 441.

[3]– الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 501.

[4]– تفسير الثعالبي، ص 50.

[5]– عبد العاطي غريب غلام، دراسات في البلاغة العربية، ص 182.

[6]– أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن الكريم، ص 260.

[7]– سورة البقرة، الآية: 138.

[8]– محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الأفاق العربية، ط01، 2002م– 1423هـ، القاهرة، ص 34.

[9]– أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ج01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1419هـ– 1998م، ص 595.

"وصبغة الله" الصِبغة بالكسر فعلة، من صبغ، كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ. [1] وأنت للمشاكلة تقديرا تعبيرا عن تطهير الإيمان "أي تطهير الله لأن الإيمان يُطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يعصمون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون إنه تطهيرا لهم"[2]، كما نقل السيوطي في أصل ومرجع القصة «فعبر عن الإيمان بـ "صبغة الله" للمشاكلة بهذه القرينة". [3]

وإن أوجزنا في هذا الباب إلا أن المشاكلة من الفنون الباغية التي تبهر المتأمل وتسحر المفكر والمتدبر في آيات الله، "ولا شك أن بلاغة المشاكلة تكملة في جمال العبارة وسمو في البلاغة، فالناظر يتوهم أن الثاني هو عين الأول، فإذا أدام النظر وحقق الفكر، علم أنه غيره فيكون ذلك سببا لاستقراره في الذهن ورسوخه في الفهم، فيكون أدعى للثبوت وعدم التفلت". [4]

المطابقة "المقابلة":

التطابق أو التقابل من بين أهم الفنون "في نظم المعاني وأوضح مظاهر التناسب في القرآن، ومعلوم أن التقابل من طرق البيان التي نجد فيها المعاني معرضا للوضوح والجمال، والتي نجد فيها النفوس لذة وسرورا"[5].

المطابقة: جمع بين ضدين[6]، ويسمى كذلك "المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ"[7]، بمعنى "الطباق الجمع بين الشيء وضده في الكلام". [8]

[1]- الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 397.
[2]- السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 322، 323.
[3]- المرجع نفسه، ص 323.
[4]- د. عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، 1419- 1999، مدينة نصر، القاهرة، ص 81.
[5]- احمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن الكريم، ص 129.
[6]- عبد العاطي غريب غلام، دراسات في البلاغة العربية، ص 177.
[7]- وشي الربيع في ضوء أساليب البديع، ص 18.
[8]- علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، ص 281.

وذكر السيوطي بأن الطباق: "الجمع بين متضادين في الجملة وهو قسمان حقيقي ومجازي والثاني يسمى التكافؤ وكل منهما إما لفظي أو معنوي وإما طباق إيجاب أو سلب".[1]

نحول قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾[2]

وفي الآية الكريمة "طباق سلبي".

«وطباق السلب، وهو أن يأتي المتكلم بجملتين أو كلمتين إحداهما موجبة والأخرى منفية، وقد تكون منفيتين»[3]، وقد تكون إحداهما سلبي والأخرى موجبة، فأتى قوله في الآية الكريمة أول الكلام منفي وآخره مثبت.[4]

قوله تعالى: ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ**﴾[5]

وفي هذه الآية طباق "مجازي" لأن "الموت" في الآية الكريمة المقصود به الغفلة وعلق السيوطي قائلا: أي ضالا فهديناه"[6].

والمجاز اصطلاحا: "اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح به التخاطب علة وجه يصح ضمن الأصول الفكرية واللغوية بقرينة صارفة عن إرادة ما وضع له اللفظ".[7]

فأتى في الآية الكريمة لفظ "الموت" دلالة على الغفلة والضلال والذي على غير طريق الحق كأنه ميتا وحياته العودة إلى طريق الهدية وقال الزمخشري في صدد هذه الآية الكريمة "مثل الذي هداه

---

[1]- السيوطي، الاتقان، ج 03، ص 325.

[2]- سورة المائدة، الآية: 44.

[3]- ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر والبيان إعجاز القرآن، توزيع د. جفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، 1383هـ- 1963م، ص 114.

[4]- السيوطي، الاتقان، ج 03، ص 325.

[5]- سورة الأنعام، الآية: 122.

[6]- المراغي، علوم البلاغة، ج 03، ص 320.

[7]- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 1/ 628.

الله بعد ضلالة، ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل، والمهتدي والضال بمن كان ميتا فأحياه الله".[1]

ويسمى كذلك هذا النوع من الطباق "التكافؤ".[2]

الطباق المعنوي:

قال الله تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً**﴾[3] فطباق هنا بين "فراش" و"بناء" طبقا معنوي بين المعنى وليس لفظ "فراشا" أي "كالفراش في صحة القعود والنوم عليه»[4]

أما البناء «أنها كالقبة المضروبة أو أنها كالسقف للأرض"[5]، فناسب ذكر الفراش والبناء لتطابق المعنوي «لأن الفرش فيه بسط وخفض للمفروش، والبناء على ارتفاع المبنى"[6].

الطباق الخفي:

قال الله تعالى: ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**﴾ [7]

فالمطابقة بين لفظين "أغرقوا" "أدخلوا" طباق خفي لأن من دخل النار سيحترق "فإن دخل النار احترق والاحتراق ضد الغرق"[8]، والغرق "من صفات الماء فكأنه جمع بين الماء والنار".[9]

وذكر البيضاوي في تفسير الآية "أغرقوا بالطوفان فأدخلوا نارًا".

---

[1]- العلامة محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، تع: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، تح: فتحي أحمد عبد الرحمن أحمد حجازي، ج 2، مكتبة العبيكلة، ط 01، 1418 هـ- 1998م، الرياض، ص 392.

[2]- السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 325.

[3]- سورة البقرة، الآية: 22.

[4]- الألوسي روح المعاني ص 187.

[5]- المصدر نفسه، ص 188.

[6]- عبد العاطي غريب غلام، دراسات في البلاغة العربية، ص 167.

[7]- سورة نوح، الآية: 25.

[8]- تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراوي، خزانة الأدب وغاية الأرب، صح عصام شقيق، ج 1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، ط الأخيرة، 2004،ص 160.

[9]- السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 326.

المراد عذاب القبر أو عذا الاخرة، والتعقيب لعدم الاعتداء بها بين الإغراق والادخال، أو لأن المسبب المتعقب وإن التراخي عنه لفقد شرط أو وجود مانع[1]، ولذلك سمي خفي فالظاهر منه السببية فقط ونفل السيوطي عن ابن منفذ بقوله "هي أفقر مطابقة في القرآن الكريم".[2]

الترصيع: وهو اقتران الشيء بما يجتمع معه في قدر مشترك.[3]

أو بمعنى آخر هو أن يجمع بين اللفظين لتناسب معانيهم الحسية كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى**﴾[4].

فذكر "الجوع والظمأ" و"العري والضحى" والرابط بينهم ليس المعنى الظاهري ... وإلا سيقول القارئ دون تدبر لا وجود لتناسب بين هاتين الألفاظ ولكن المتدبر المتأمل للكلام الله عز وجل يجب أن يغوص في معاني الآيات ويبحر في مقاصدها ليستطيع أن ينير بصيرته وينهل من فيض البيان في القرآن الكريم.

فالجوع والعرى والطوء تناسب في معانيهم فالجوع يدل على الفراغ والطوء والعري كذلك يدل على العدم فاستر كالماء ذكر السيوطي "في الخلو فالجوع خلو الباطن من الطعام والعري خلو الظاهر من اللباس"[5]، أما قوله "الظمأ" و"الضحى" فوجه الجمع بينهما هو اشتراكهما في "الحر" فالظمأ هو العطش الشديد بسبب الحر والضحى هو أشد الأوقات حرا.

وذكر السيوطي "والظمأ والضجر اشتركا في الاحتراق فالظمأ احتراق الباطن من العطش والضجر احتراق الظاهر من حر الشمس"[6]، فالإحساس كان بسبب الجمع "إذ الأول يبعث الشهاب

---

[1]- محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مح محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، ط 01، 1418هـ، ج 05، ص 250.

[2]- السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 326.

[3]- المصدر نفسه، ج 3، ص 326.

[4]- سورة طه، الآية: 118- 119.

[5]- السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 326.

[6]- المصدر نفسه، ج 3، ص 326.

الجوف، والثاني يلهب الجلد، فناسب ذلك الجمع بينهما"[1]، فكانت الآية الكريمة تظهر الرابط بين الألفاظ من خلال الدلائل المشتركة وهذا من بلاغة القرآن الكريم ليتجلى المعنى في أسمى معانيها وفي أكمل حالاته لينسج للمتأمل خيالا واسعا وفكرا راقيا لتدبر ألفاظه والانتفاع بعظاته، وهذا النوع من البديع لفيه صعوبة بالغة لإخراجه كما جاء في الطراز "وهو من علم البديع بمحل ومكان رفيع، ولم يرد في القرآن شيء منه على علو قدره وظهور بلاغته، وهو قليل نادر لصعوبة الأحرفية".[2]

المقابلة: فإذا ذكرنا في الطباق بان يذكر اللفظ وضده فالمقابلة هي "أن يذكر لفظان فأكثر ثم أضدادها على الترتيب".[3]

قال الله تعالى: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا**﴾[4]

"فالضحك" و"البكاء" في الآية الكريمة متقابلان أي متضدان و"قليلا" و"كثيرا" فكذلك متضادان، فالآية الكريمة مقابلة اثنين باثنين ومن مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾[5]

في الآية الكريمة تقابل بين:

العطاء ≠ البخل

صدق ≠ كذب

اليسرى ≠ العسرى

اتقى ≠ استغنى.

[1]- أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، مطبعة نهضة مصر، مارس، 2005، ص 144.

[2]- الطراز لحمزة العلوي اليمني، ص 199.

[3]- السيوطي، الاتقان، ج 3، ص 327.

[4]- سورة التوبة، الآية: 82.

[5]- سورة الليل، الآية: 05- 10.

فذكر كل لفظ وما يناسبه من ضده "ولما جُعل التسيير في الأول مشتركا بين الإعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعبير مشتركا بين أضدادها".[1]

إلى غيرها من أنواع المقابلة التي لم يسعنا المقام لذكرها كله ولكن حاولنا التطفل على بعض الأنواع منها في باب المطابقة.

هذا ما حاولنا ذكره في باب بدائع القرآن الكريم لدى جلال الدين السيوطي وإن لم نسلط الضوء على كل الأنواع ولكن حاولنا أن نأخذ من كل روض زهرة هذه ونكون تلك الزهرة أكثر ريا من التناسب فهذا الباب كما ذكرنا يتسع لأكثر من مئة نوع ... وخلاصته فهو الجمال بعينه في الكلام لما يظيفه من حلاوة وطلاوة للفظ والمعنى.

نماذج من التناسب في السورة:

إن استخراج المناسبات من القرآن الكريم على اختلافها سواء كان فالوحدة الموضوعية لسورة الواحدة أو مجموع من السور، ما هو إلا باب من أبواب الإعجاز وبديع يزيد من حلاوة وحلاوة القرآن الكريم، ويضفي سحره الخاص على أسماع المتدبر وعلى روح المتأمل المفسر للفرقان، وفي هذا يقول أحمد يوسف: "استخراج مناسبات القرآن ما هو الا نوعا من أنواع إعجازه في القرآن وإن كان في غنى على ذلك، فهو يدل بنفسه على أنه لا صنعة فيه لبشر إلا أنه يحتاج لهذا النوع من الإعجاز لدحض شبهات المفتريين من المستشرقين وممن ينسبون للإسلام أيضا"[2].

والتناسب في القرآن الكريم لم ينحصر في نوعا أو نوعين فقد تشاكلت علينا أنواعه لكثرتها وتنوعها فقد نجد في الآية الواحدة العديد من الروابط والعلاقات التي تبرز التناسب الواقع فيها، فما بالنا بالتناسب الحاصل في السورة الواحدة وبين سور القرآن الكريم، لذلك سنقتصر على بعضا من الأنواع التي ذكرها السيوطي في كتابه الإتقان:

[1]- السيوطي، الاتقان، ج3، ص 327.

[2]- القاسم محمد أحمد يوسف، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، القاهرة، 1979م، ص 298.

1-التناسب بين الأيات في السورة:

مفهوم الآية: هو مقدار مركب من القرآن ولو تقديرا أو إلحاقا، فقولي ولو تقديرا، لإدخال قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[1]، إذا التقدير: هما مُدْهَامَّتَانِ ونحوه: "الفجر"، إذا التقدير أقسم بالفجر، وقولي "أو الحاقا" لإدخال بعض الفواتح السور من الحروف المقطعة فقد عُدَّ أكثرها في المصاحف آيات ما عدا: "الر" و"المر" و "طس" و "ص" و "ق" و "ن"، وتسمية هذه الأجزاء من الكلام آيات من مبتكرات القرآن"[2]، وإنما كانت الآيات في القرآن الكريم من مبتكرات القرآن لأنها وحي يوحى وما هو بقول بشر.

وارتباط أي القرآن الكريم وتناسبها دلالة على إعجازه وعظمته كلام الله عزوجل والمتدبر لكلامه وجب عليه أن بحيث في هذا الترابط المحكم والسر من وراء ذلك، وفي هذا ينقل السيوطي في كتابه الإتقان عن الشيخ ولي الدين الملوي مقدر من قال: قد وهم من لا يطلب للآي الكريمة مناسبة، أنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب أنما على حسب الوقائع تنزيلا".

وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ.

مرتبة كل سوره وآياته، بالتوقيف ..."[3]، أي أن آيات القرآن الكريم مرتبة وفق ما أنزلت بالتوقيف وليس عملا اجتهادي وعندما نطلب المناسبة بين الآيات إنما نطلبها لزيادة المعرفة وتقريرا للأحداث الواقعة المرادفة لنزولها، وفي هذا يضيف "ومن المعجز البين اسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه المناسبة لما قبلها؟، ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت

[1]- سورة الرحمن، الآية: 64.

[2]- عادل بن محمد أبو علاء، مصابيح الدرر في تناسب الآيات والسور، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع129، 1437هـ-1425هـ، ج1، ص 23.

[3]- السيوطي، الإتقان، ج03، ص 370.

له"[1]، ومن هنا تظهر الفائدة الجليلة لهذا العلم، وأن معرفة مناسبات بين الآيات وما قبلها وما بعدها له وقع خاص على قلب الدارس، ونورا على عقل القارئ والمتعطش لكلام الله.

ومناسبات الآيات إما أن يكون ظاهر الارتباط وتعلق الآيات ببعضها ببعض واضح، وإما ألا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى"[2].

ولابد الإشارة أنه يوجد عدة علاقات تربط الآيات فيما بينها ومنها ما ذكرناه في أنواع البدائع في القرآن الكريم، وقد سماه السيوطي "دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية"[3]، أي أن هذه الروابط قرائن معنوية تساعد في ربط الآيات وتناغمها وتناسقها.

التنظير: إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء[4] كما جاء عن السيوطي.

نحو قوله تعالى: ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ**﴾[5] والآية التي قبلها ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**﴾، فنلحظ أنه لا يوجد ترابط بين الآيتين إلا أن المتعقب لأوجه الترابط والمتأمل للأحداث في هذه الآية يجد أنه ربط بين حكم النبي صلى الله عليه وسلم في جمع الغنائم وكراهتهم أي المؤمنين للقتال "فإنه تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه، كما يمضي لأمره في خروجه من بيته لطلب العير أو القتال، وهم له كارهون[6]، والقصد أن كراهتهم للغزو في الآية الكريمة ككراهتم للغنيمة غير أنه "نبين في الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الإسلام فكذا يكون فيما فعله في القسمة فليطيعوا ما أمروا به ويتركوا هوى أنفسهم"[7]، فجاءت العلاقة المعنوية الدالة على الربط بين الآيتين.

---

[1]- السيوطي، الإتقان، ج03، ص 370.
[2]- المصدر نفسه، ج03، ص 371.
[3]- نفسه، ج03، ص 372.
[4]- نفسه، ص 372.
[5]- سورة الأنفال، الآية: 04-05.
[6]- السيوطي، الإتقان، ج03، ص 372.
[7]- المصدر نفسه، ص 373.

الاستطراد: يخرج المتكلم من الكلام الذي هو مسترسل فيه إلى غيره باستدعاء مناسبة، ثم يرجع إلى مكان فيه[1]، أي يأخذ المتكلم في معنى أو كلامه بينما هو كذلك حتى ينقل إلى كلاما آخر وتكون مناسبة بينهم ثم يعود للأول.

نحو قوله تعالى: ﴿**لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾[2].

في بداية الآية الكريمة تحدث عن المسيح عليه السلام بأنه عبد الله وليس ابن الله ثم انتقل مباشرة للحديث بأن الملائكة مكذب لمن يدعون بنبوتهم وفي هذا يقول السيوطي: "فإن أول الكلام ذكر للرد على النصارى الزاعمين بنبوة المسيح ثم استطرد للرد على العرب الزاعمين نبوة الملائكة"[3].

حسن التخلص: هو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا، دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما[4]، وحسن الابتداء يسمى براعة الإاتسهلال، أي أن المتكلم يكون له الفراسة التامة بما يناسب المخاطب فيحسن التنقل في الكلام دون أن يشعر السامع بذلك فيكون في تشوق دائم لسماع إلى كلامه دون ملل.

ومنهم من رأى أنه من التكلف كما نقل السيوطي عن أبو العلاء بن غانم في قوله: "لم يقع منه في القرآن شيء لما فيه من التكلف"[5]، وقد رد عليه السيوطي "فيه من التخلصات العجيبة ما يحير العقول"[6].

ومن أمثلة ذلك سورة الأعراف حيث ذكر الأنبياء وأحوال الأمم السالفة ثم قصة سيدنا موسى عليه السلام الآية (103-156) وختم قوله تعالى بدعاء سيد موسى عليه السلام بقوله:

---

[1]- عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع، ص 60.

[2]- سورة النساء، الآية: 172.

[3]- السيوطي، الإتقان، ج03، ص 373.

[4]- المصدر نفسه، ج03، ص 373.

[5]- السيوطي، الإتقان، ج03، ص 373..

[6]- المصدر نفسه، ص 373.

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[1]، وجوابه تعالى عنه، ثم يخلص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه لأمته"[2] ومن ثم يذكر صفات من يتبع سيد المرسلين وخاتم الأنبياء من صفاتهم كيت وكيت وهم ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾[3]، وأخذ في ذكر صفاته الكريمة وفضائله"[4].

ومن أمثلة ذلك كثيرا في القرآن الكريم، ومن هنا فإن ترابط آيات القرآن الكريم وتلاحمها كالجسد الواحد وانتقاله من حديث لآخر على حسب الوقائع والقصص والمواعظ لربما من أبرز أهداف ذلك هو إرغام السامع على التمتع بحلاوة هذا النسيج الرائع والبناء المحكم دون إشعاره بالملل.

وإذا ما تحدثنا عن أوجه التناسب في الآية الواحدة كالتناسب الذي يجمع الآية وما بعدها وما قبلها فنجد الإمام البقاعي كان يجتهد في إظهار هذه الروابط ووضح كيف يتم معرفة واستخراج المناسبات بين الآيات قائلا: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو: أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب"[5]، اي تتم دراسة الآية دراسة عميقة من حيث ما تقدم وما تأخر عنها ويضيف "وتنظر عند إنجرار الكلام في المقدمات على ما يتتبعه من استشراق نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراق إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية وفي كل سورة"[6]، ومن هنا تتبين كيفية دراسة واستخراج المناسبات العامة بين السورة أو الخاصة في السورة الواحدة.

وسنذكر بعضا من التناسب الحاصل في السوره:

---

[1]- سورة الأعراف، الآية: 156.

[2]- السيوطي، الإتقان، ج03، ص 373.

[3]- سورة الأعراف، الآية: 157.

[4]- السيوطي الإتقان، ج03، ص 374.

[5]- أبو بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب اليات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج01، ص 18.

[6]- بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب اليات والسور، ص 18.

1-التناسب بين الآية وما قبلها وما بعدها:

قال الله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (1) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[1]

ابتدء الله عزوجل فاتحة كتابه بالحمد والثناء على نفسه دل على أنه المستحق لجميع المحامد لا لشيء غير ذاته الحائز لجميع الكمالات أشار إلى أنه يستحقه أيضا من حيث كونه ربا منعما فقال: "رب" وأشار بقوله "العالمين" إلى ابتداء الخلق تنبيها على الاستدلالات على المصنوع على بالصانع والبداءة على الإعادة[2]، فربط تناسب قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾، بقوله تعالى ﴿ **رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، فالله عزوجل أنه رب العالمين ليرد فيها ذكر صفاته وأنه رحمن ورحيم ولا غنى للعالمين عن رحمته ترغيب في لزوم حمده وهي تتضمن تشبيه ما شمله الحمد أصلا[3].

استوجبت صفتين مجملهم الرحمة "ولما ذكر الربوبية قال في الآية التي تليها قوله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[4]، لما كان الرب المنعوت بالرحمة قد لا يكون مالكا، وكانت الربوية لا تتم إلا بالملك المفيد للعزة المقرون بالهيبة المثمرة للبطش والقسم المنتج لنفوذ الأمر إتبع ذلك بقوله تعالى ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ ترهيب من سطوات مجده[5]، فناسب ذكر الرحمة لأنها متعلقة بالعالمين وترغيب لهم وتعقب ذكر الملك ترهيب لهم.

2-التناسب بين فواتح السور وخواتمها:

وهذا النوع قد خصه الإمام السيوطي بكتاب مانع جامع سماه "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع".

ولاشك أن افتتاح السور القرآنية يتضمن براعة استهلال فهو أول ما يطرق الأسماع ويشنف الآذان ... وخاتمة السور لا تقل أهمية عن الفاتحة فهي تجعل السامع ينتقل بين جوهر الكلمات

---

[1]- سورة الفاتحة، الآيات: 01-03.

[2]- نظم الدرر، البقاعين، ج01، ص 28.

[3]- سورة الفاتحة، الآية: 04.

[4]- المرجع السابق، ص29.

[5]- علي مسلم الحصيني، أثر النمظم في تناسب معاني في سورة العنكبوت، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1428-2007، ص 14.

ويسافر عبر قصصه ووعظه فيسري به سحر بلاغته فيبقى خاشعا متصدعا لجمال ما يتلى عليه ونور ما يسمعه ويرق فؤاده طربا وعشقا لكلام الله عزوجل ... وفي هذا يضيف علي مسلم: "فكل سورة تبدأ رحلتها بافتتاحية تفصح عن غرض محوري تربط به أجزاء السور، ليتوالى بعد ذلك آخذا بعضه بأعناق بعض حتى نصل إلى خاتمة تهمس للعقل اليقظ المتدبر فتعيده إلى بدء السورة ومفتتحها، لتكتمل بذلك الرحلة في السورة القرآنية وقد ترابطت بدايتها ونهايتها، فالتناسب بين فاتحة وخاتمة السورة رحلة سماوية تنقلك إلى عالم آخر وتسري بروحك إلى التدبر في آيات الله والاعتبار بإعجازه وترابطه ومن أمثلة ذلك سورة "سورة آل عمران" والترابط الحاصل بين فاتحة السورة وخاتمتها[1]. إختتامه

حيث ناسب إختتامها بقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ** ﴾[2]، وذكر قبل إنزال القرآن الكريم والتورات والإنجيل في افتتاحه "وافتتحت بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾[3]، وختمت بقوله تعالى إنك لاتخلف الميعاد.

وقد يرد تناسب بالتقابل بين البداية والنهاية. كفاتحة سورة المؤمنون﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[4]، وخاتمتها في قوله تعالى: ﴿**لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾[5].

وقد قال الزمخشري: "فشتان بين الفاتحة والخاتمة"[6] فبداية السورة استهلها بالحديث عن فلاح المؤمنون وأنهم هم الفائزون وختمها بما هو ضده وهو عدم فلاح الكافرون وهنا تناسب بين الفاتحة والخاتمة بالإيجاب والسلب.

---

[1]- جلال الدين السيوطي، مراصد المقاطع في تناسب المقاطع، مكتبة دار المناهج، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ، ص 48.

[2]- سورة آل عمران، الآية: 199.

[3]- سورة آل عمران، الآية: 09.

[4]- سورة آل عمران، الآية: 194.

[5]- سورة المؤمنون، الآية: 117.

[6]- جلال الدين السيوطي، مراصد المقاطع في تناسب المقاطع، ص 48.

3- التناسب بين فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها:

إن المتتبع لأسرار القرآن الكريم يجد أن كل حرف في موضعه الذي وضع له ومتناسب في حركاته وسكناته ومعجز بدلالته فما بالنا إذا كان الحديث عن تناسب السور فيما بينهما فإن ذلك يجعلنا ننبهر أمام ذلك النظم العظيم والاتساق الجميل الذي يجمع بين سور القرآن الكريم ويؤكد لنا مرة أخرى أن ترتيب سور القرآن الكريم إنما كان توقيفيا محظ.

وكان لمغزى جليل إن أدركنا بعضه خفي علينا كله ولحكمة تظهر تارة تختفي تارة أخرى.

يقول الزركشي: "إذ اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها"[1]، وفي هذا الصدد يضيف العلامة السيوطي: "إن القاعدة التي استقر بها القرآن أن كل سورة تفصيل إجمال لما قبلها"[2]، أي أن كل سور القرآن الكريم لها علاقة لما قبلها ومتناسبة وفيما بينها كالعقد الواحد تراه متماسكا متآلفا في منتهى الجمال والإبداع.

والإيضاح أكثر سنأخذ بعض الأمثل:

كافتتاح سورة البقرة ﴿**الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾[3]، فإنه إشارة إلى الصراط في قوله: "﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[4]، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب وهذا معنى حَسَن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة"[5].

كما نلاحظ في التناسب بين السورتين كان بين أواخر سورة الفاتحة مع بداية سورة البقرة: "وهذا التلازم والاتحاد يتوقف على تحديد كخاتمة السورة ويرتبط تحديد خاتمة السورة بدرجة وعي المفسر فقد تكون الخاتمة آخر آية، أو قد ترتبط آخر بالسياق الذي قبلها، فحدود الخاتمة لا تقف

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن الكريم، ج1، ص 38.

[2]- جلال الدين السيوطي، تناسب الدرر في تناسب السور، ص 217.

[3]- سورة البقرة، الآية: 01-02.

[4]- سورة البقرة، الآية: 05.

[5]- السيوطي، الإتقان، ج1، ص 38.

عند الآخرة مباشرة، وإنما قد تمتد إلى أكثر من آية، وهذا يصدق على البداية"[1]، ومن هنا يظهر الترابط والتناسب بين السور.

التناسب بين افتتاح سورة يوسف واختتام سورة هود:

"اختتمت سورة هود بقوله تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (120) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (121) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (122) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)**﴾[2]، فالآية تتحدث على التوكل على الله وإنه يعلم ويحيط علمه بكل شيء سرا وعلانية: "أي أطع الله في أمره، لأنه سبحانه الأعلى منك، بأن تؤدي واجب العبادة، من صلاة وزكاة وصيام وحج إن استطعت لذلك سبيلا، لتأخذ من المدد الأعلى يعينك في حركتك الثانية التي تتحركها في الكون"[3].

من ثم الإشارة إلى التوكل على الله في جميع الأحوال والظروف، واعلم أنه ستصادفك المصاعب فإن صادفتك فتوكل على الله وتلك فائدة من فوائد استمرار ولائك لله الذي تأخذ منه مرادك"[4]، فلما أخبر الله عزوجل نبيه بحسن التوكل عليه ناسب خاتمة السورة بأنه يقص عليه قصص الأنبياء والمرسلين وعبرهم لتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتناسب ذلك مع مطلع سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿**نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾[5]، واختص ذاته بقصص القصص "فحدث الله عزوجل أنه هو الذي يقص وإذا وجد فعل الله، فنحن نأخذ الفعل بذاته وخصوصه، ولا نحاول أن نشتق منه اسما نطلقه

[1]- محمد عامر محمدن أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني، رسالة دكتوراه 1432-2011، جامعة كلية الآداب، 1991، ص 167.

[2]- سورة هود، الآية: 120-123.

[3]- منولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، المجلد 11، د.ط، 1411هـ-1971م، ص 6802.

[4]- المرجع نفسه، ص 6803.

[5]- سورة يوسف، الآية: 03.

على الله"[1]، وكأن الله عزوجل اختص بذاته أن ينزل أحسن القصص بقصها على نبيه لتكون له تثبيتا وتسليه لروحه وتثبيت لفؤاده، "ووجه مناسبتها لما قبلها وارتباطها أن آخر سورة التي قبلها ... وكان في تلك الأنبياء المقصوصة مالاقى الأنبياء من قومهم، فاتبع ذلك بقصة يوسف عليه السلام، وما لاقاه من اخوته وآلت إليه حاله من حسن العاقبة، ليحصل للرسول صلى الله عليه وسلم التسلية الجامعة لما يلاقيه من أذى البعيد والقريب[2]، فكانت قصة يوسف تثبيت لفؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ومآزره له على الثبات.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

هذا ما تم منا فما كان من سداد فهو من الله وحده لاشريك له وماكان من خطأ فهو منا ومن الشيطان ولكل عمل اذا ماتم نقصان فنامل ان نكون قد أصبنا ولو بالقليل وسددو الخلل إن وجد.

الحمد الله الذي صدقنا الرؤيا بالحق ...

""""""" قد جعلها ربي حقا """""""

[1]- منولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ص 6830.

[2]- أثير الدين الأندلسي، صديقي محمد جميل، البحر المحيط في التفسير، ج6، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، ص 234.

خـاتـمـة

وختام هذا البحث المتواضع فلا من الإقرار ان التناسب مت بين أهم العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم والتي وجب على الدارسين والباحثين في النص القرآن الكريم الاعتناء بها وإظهار أهميته وتأسيس قواعده وأصوله وإرساء ضوابط له تعين الباحث والمتدبر لكلام الله على كشف أسرار وإعجاز القرآن الكريم.

ومن بين أهم النتائج المتوصل اليها:

-النص القرآني الكريم معجز ولعل من بيان أهم مجالات إعجازه فصاحته وبلاغته لذلك كان أكبر تحدي لقريش بأن يأتوا بآية مثله وإعجازه ظاهر جليا في تناسب وترابط آياته وسوره كالكلمة الواحدة

- التناسب من بين أهم الفنون والعلوم المساعدة على تدبر كلام الله والإبحار في غاياته والاستبصار من نور حكمته

-التناسب بحر زاخر ومهما اجتهدت للكشف عن كل حقائقه والإحاطة بكل صغيرة وكبيرة فيه ستجد نفسك كلما تعمقت في الابحار وغصت في قاعه لن تروي غليلك مما تريد الوصول اليه فكلما شربت منه زدت عطشا لنهل من جماليته وأساليبه و ودلالته اللامتناهية.

-التناسب أثبت تعدد سياقات التراكيب القرآنية وأن كل لفظة في محلها ولما وضعت له و لا يوجد في القرآن الكريم كلاما أو مفردات مقحمة.

- البدائع في القرآن الكريم أظهرت جمالية الخطاب القرآني و تناسب وعظه وقصصه في التنقل بين روعة الخطاب ومراعاة حالة المخاطب وشد سمعه للخضوع لكلام الله وركوع قلبه خشوعا لسحر ما ألقي عليه.

- سعى جلال الدين السيوطي في إظهار تناسب الواقع بين الآيات والسور مثبتا أهمية العلاقة الحاصلة بينهم من خلال الترابط النصي وتكرار القصص وتسلسل في سرد المواعظ بين ترغيب وترهيب.

- لقد أبدى جلال الدين السوطي أهمية بالغة لتناسب بين فواتح السور وخواتمهم أو بين المطالع والمراصد حيث جعلهم وجه من أوجه إعجاز القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المصادر:

القرآن الكريم*

1. الأنباري، لأبو بكر، المذكر والمؤنث، تح محمد الخالق عظيمة، القاهرة، 1991-1401.
2. الأنباري، الأنصاري أبو البركات كمال الدين الأنباري، البلغة في الفرق بين المؤنث والمذكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1996-1417.
3. لابن الأصبع المصري، تحرير التعبير في صناعة النثر والشعر، تح: جفني محمد شرف، لجنة التراث الاسلامية، المجلس الأعلى، القاهرة، 1383.1963
4. الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم الشامية، دمشق، ط1.
5. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله، تح: محمد عبد الرحمن المرعشيلى، ج4، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418.
6. بن حيان، أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح، صدفي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، 1420.
7. البقاعي، أبو بكر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الاسلامية، القاهرة، (د.ت)، (د.ت)
8. البخاري القنوجي، أبومحمد الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي حسين، ج 12، راج: عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة، صيدا، بيروت، 1992-1412.
9. جرجاني، عبد القاهر،تح محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، 2004، ط1.
10. الجرم علي، البلاغة الواضحة، تح: مصطفى أمين، دار المعارف.
11. دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، دار الثقافة، قطر، الدوحة،(د.ط)، 1405-1985.
12. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، ، جواهر البلاغة، تح: يوسف الصميلي، المكتبه العصرية، بيروت.

13. الزمخشري، أحمد، أساس البلاغة، تح، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411-1998

14. الزمخشري، أبي القاسم محمود عمر، الكشاف، تح: عادل أحمد عبد الموجود علي ,علي محمد معوض، مكتبة العبيلكة، الرياض، ط1، 1418-1998.

15. الزمخشري، أحمد، أساس البلاغة، تح، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1411،1-1998.

16. زركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تح، أبو الفضل، دار الإحياء الكتب العربية عيسى البابي وشركائه، لبروت، لبنان، (ط1)، 1376،

17. الزرقاني، عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن،تح، فواز أحمد زمولي، دار الكتاب العربي، بيروت،1995-1415.

18. الحموي الأزراوي، تقي الدين أبو بكر بن عبدالله، خزانة الأدب وغاية الأرب، تح: عصام شقيق، دار ومكتبة الهلال، دار البحار، بيروت، ط الأخيرة، 2004.

19. الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم و السبع المثاني، دار الإحياء العربي، بيروت، لبنان،(د.ت)،(د.ط).

20. النورسي، بديع الزمان سعيد، إشارات الاعجاز في مضمان الايجاز، تح، إحسان فديم صالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر، ط3، 2002.

21. النفسي، أبو بركات محمود حافظ الدين، تفسير النفسي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تح: يوسف علي بديوي، راج: محي الدين مستور، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1419،1-1981.

22. المعتز، عبد الله، كتاب لبديع، أغناطيرس، كراتشفوفكس، أكاديمية العلوم في ليبنغرادد.

23. القطان، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، 2000، ط1، مصر، القاهرة.

24. السبكي، أحمد بن علي عبد الكافي أبو حامد بهاء الدين، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح، عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1423.

25. السجلماني، أبو محمد، تح، المنزع البديع، تح: علال الغازي، مكتبة المعارف، ط1، 1980، الرباط 2003.

26. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن الكريم،تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د,ط)،1394-1974.

27. السيوطي، عبد الرحمن أبى بكر جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب، لبروت، لبنان، (ط1)، 1408-1988.

28. السيوطي، عبد الرحمن أبى بكر جلال الدين ، شرح عقود الجمان في علم البديع والبيان، دار الفكر، بيروت، لبنان،(د.ت)،(د.ط).

29. السيوطي، عبد الرحمن أبى بكر جلال الدين،مراصد المطالع في تناسب المقاطع، تح، عبد المحسن بن عبد الله العزيز العسكر،مكتبة دار المنهاج، الرياض، مملكة العربية السعودية،ط1426،1.

30. السيوطي، عبد الرحمن أبى بكر جلال الدين، تناسب الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1406-1986.

31. السيوطي، عبد الرحمن أبى بكر جلال الدين، أسرار ترتيب سور القرآن.

32. السكاكي، أبى بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم،تع نعيم زرزور،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403-1983.

33. السنبكي، الأنصاري زين الدين أبو يحي، فتح الرحمن بكشف ما يتلبس من القرآن الكريم، تح: عمر علي الصابوني، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1403-1983.

34. عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار التونسية، تونس، 1984، (د.ط).

35. العلوي اليمني، حمزة بن علي ابن ابراهيم، الطراز، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، سيدا، بيروت، ط1، 1423-2002 .

36. القزويني، الخطيب أبو المعالي جلال الدين، الايضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط3، 1413-1993.

37. القزويني، الخطيب أبو المعالي جلال الدين، التلخيص في علوم القرآن، ض.ش.عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 1904.

38. الصنهوري، أحمد، حلية اللب المصون على الجوهر المكنون، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت)،(د.ط).

39. الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن حسن بن الحسين التيمي فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1420، ط3.

40. الرفاعي، مصطفي صادق، إعجاز القران الكريم والبلاغة النبوية، مر: درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 1424،2003، (د,ط).

المعاجم:

1. بن فارس، أحمد، معجم مقايس اللغة، تح، عبد السلام هارون، مطبعة الحلبي، مصر، ط2، (د.ت)

2. ابن منظور، لسان العرب،

3. الجرمي، إبراهيم محمد، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق، ط1،1421،2001.

4. عكاوي، إنعام فوال، المعجم المفصل في علوم البلاغة، مر: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1417-1996.

المراجع:

1. إبراهيم شمس الدين الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003- 1423هـ.

2. بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن الكريم، دار نهضة، مصر، القاهرة،2005، (دط).

3. أبو زيد، أحمد،التناسب البياني في القرآن الكريم دراسة في النظم المعنوي الصوتي، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 1992،

4. أبو شادي، عبد السلام، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن الكريم للطبع، القاهرة، 1412،1991،(د,ط)

5. أبو العلاء، عادل بن محمد، مصابيح الدرر في تناسب الآيات والسور، الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، (ع، 129)، 37،1425،

6. بكر إسماعيل، محمد، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط2،1419،1999،

7. الدوسري، منيرة محمد ناصري،أسماء سور القرآن الكريم وفضائلها، دار ابن الجوزي، ط1، 1426،الدمام، السعودية،

8. حبنكة الميداني، حسين عبد الرحمن، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، د.ط، د.س.

9. حسين فريد، عائشة، وشي الربيع في ألوان البديع، دار قباء، القاهرة، (د.ت)،2000

10. طبل، حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، (د.ط)، مدينة نصر، القاهرة.، 1998-1428.

11. لاشين، عبد الفتاح، البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، مدينة نصر القاهرة، (د.ط)، 1419-1999.

12. متولي الشعراوي، محمد أمين، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1971- 1411.

13. السامرئي، فاضل صالح، على طريق التفسير البياني، كلية الآداب، جامعة الشارقة، 1425-2003.

14. السامرائي، فاضل صالح، أسئلة بيانية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الامارات، الشارقة، ط1، 1429-2008.

15. السامرائي، فاضل صالح، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك لنشر والكتابة، ط2، 1427، 2006.

16. السيد جعفر، يافر الحسني، أساليب البديع في القرآن الكريم، كتاب الايران، بوستان، ط1،1429،20089*

17. سلامة، محمد حسين، الاعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 1423-2002.

18. سعادة، محمد عبد الله، من أسرار النظم القرآني، مكتبة مبارك، القاهرة، (د.ت)،(د.ط).

19. العاكوب، عيسى علي وعلي سعيد ستوي، الكافي في علوم البلاغة، الجامعة المفتوحة، الاسكندرية، القاهرة، 1993، ط 1.

20. عباس فضل، لطائف المنان وروائع البيان، دار النفائس، الأردن،1ط، 1430-2010

21. عتيق، عبد العزيز، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

22. عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية، لبروت، لبنان، 1ط، 1430-2009.

23. عظيمة، محمد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، مصر، (د.ط)، 1404.

24. الصعيدي، عبد المتعال، البلاغة العالية، مكتبة الأدب ومطبعتها، طبعة النموذجية، ط3، 1411-1991.

25. الرفاعي، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980.

26. الشحات محمد، أبو ستين ، خصائص النظم القرآني في قصة سيدنا إبراهيم، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1412-1991.

27. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، دلائل القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، عمان، ط1، 1421-2000.

28. الخطيب، عبد الكريم، إعجاز القرآن، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1949.

29. غريب غلام، عبد العاطي، دراسات في البلاغة العربية، ط1،جامعة فاس، تونس، بنغازي، 1997

30. الرسائل:

31. محمد شريف، موسى، الاعجاز العلمي بيت السيوطي والعلماء، رسالة دكتورة، دراسة نقدية ومقارنة، دار الأندلس الخضراء.

32. بن سلمان، ابراهيم بن عبد الله، أسرار التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، دراسات لغوية، 1437، 2016،، جامعة نزوي، سلطنة عمان.

33. الحويني، سامي محمد هشام، نظرات من الاعجاز البياني في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، أصول الدين، جامعة الأردنية، دار الشروق، عمان، 2006،ط1.

34. الحصيني، علي مسلم، أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1428،2007.

35. وافي نجم الدين، إقبال، التناسب ودوره في الاعجاز القرآني، رسالة ماجستير، كلية الفقه، جامعة الكوفة، 1430،2009.

المجلات:

1.عيدان، حيدر جبار، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد الثلاثون، صفر 1441-2019.

2.www.alukah.net حسن عمر، محمود، المناسبة في القرآن الكريم، شبكة الألوكة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية:

السورة	رقم الآية	الآيـــــــة	الصفحة
الفاتحة	04-01	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (1) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (3) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (4)﴾	78
	06	﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	60
البقرة	01	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	36-80
	05	﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾	37
	07	﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾	33
	22	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾	70
	37	﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾	29
	117	﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	53
	137	﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾	30
	138	﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾	67
	164	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	27
	178	﴿إِالْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾	18
	184	﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾	51
	233	﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾	50
	257	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	49
	275	﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾	41

	278	﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ﴾	34
ال عمران	18	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾	17
	54	﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾	66
	194	﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾	79
	199	﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾	79
النساء	172	﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾	76
المائدة	44	﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾	69
	116	﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾	66
الأنعام	101	﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	66
	122	﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾	69
الأعراف	156	﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾	77
هود	01	﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾	13
	64	﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾	43
	67	﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾	41
	94	﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾	42
	113	﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾	64
	120-123	﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (120)	81

		وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (121) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (122) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123) ﴾	
يوسف	02	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	06
	03	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾	81
	23	﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾	37
	85	﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾	63
الحجر	16	﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾	19
الإسراء	01	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	79
	110	﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾	24
الكهف	98	﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾	43
مريم	29	﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾	30
	51	﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾	19
الأنبياء	36	﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾	36
	81	﴿ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾	36
	90	﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾	18

	91	﴿والَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾	18
المؤمنون	50	﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾	18
النور	45	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾	33
النمل	12	﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾	26
القصص	20	﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾	32
	24-23	﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾	24
	32	﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾	44
الأحزاب	35	﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾	17
فاطر	04	﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ ﴾	34
يس	14	﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾	28
	15	﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾	28
	16	﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾	28
	22	﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	58
غافر	07	﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾	27
الجاثية	32	﴿ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾	35
الفتح	01	﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾	59

الذاريات	22	﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾	49
	47	﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾	56
القمر	19	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾	46
	20	﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾	46
الرحمن	64	﴿ مُدْهَامَّتَانِ﴾	74
الحديد	01	﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	49
	03	﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾	19
الطلاق	12	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾	48
الحاقة	06	﴿ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾	46
	07	﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾	46
نـوح	25	﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾	70
المزمل	18	﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾	45
الليل	10-5	﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) ﴾	72
الإخلاص	02-01	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ﴾	38

فهرس الموضوعات

فهـرس الموضـوعـات

بسملة

كلمة شكر

إهداء

مقدمة ..... أ

مـدخـل

مفهوم القرآن الكريم 06

أ- ترتيب سور القرآن الكريم توقيفيا 08

ب- مفهوم التناسب لغة واصطلاحا 10

الفصل الأول: تناسب التراكيب في القرآن الكريم

التناسب في التقديم والتأخير 15

1- التبرك 17

2- ويأتي التقديم على سبيل التشريف 17

3- وقد يكون مراعاة للمناسبة 18

التناسب في الحذف والذكر 21

1-الحذف: الإيجاز 21

أ- حذف المفعول اختصارا أو اقتصارا 22

ب- حذف مفعول مقصود قصده 24

ج- وقد يشبه الحال في الحذف وعدمه 24

أنواع الحذف 25

أ- الاحتباك 25

ب- الذكر "الإطناب" 26

2-التأكيد 28

الزيادة في بعض الأفعال والأسماء والحروف 30

أ- الزيادة في الأفعال 30

ب- الزيادة في الأسماء..... 30
التناسب في التعريف والتنكير 32
1- إرادة الوحدة 32
2- إرادة النوع 33
3- التعظيم..... 34
4- وقد يأتي من باب التكثير أو التكثير والتعظيم معا..... 34
5- التحقير 35
6-التقليل 35
التعريف..... 36
1-التعريف بالإشارة 36
2-التعريف بالاسم الموصول "الموصولية"..... 37
الحكمة من التناسب الحاصل في تنكير أحد وتعريف الصمد 38
التناسب في التأنيث والتذكير 40
1-تأنيث الفعل للفاعل 41
التأنيث والتذكير في الجملة الاسمية..... 43
التناسب في الإفراد والجمع 47
جمع الظلمات وإفراد النور..... 49
مقابلة الجمع بالجمع..... 50
مقابلة الجمع بالمفرد 50

الفصل الثاني: التناسب في بدائع القرآن الكريم

1-التورية 54
2-الالتفات 56
أ- من المتكلم إلى الخطاب..... 58
ب- من المتكلم إلى الغيبة 59
ج- من الغيبة إلى التكلم 59
خ- من الغيبة إلى الخطاب..... 60

فهرس الموضوعات:

الائتـــلاف 61
أ- ائتلاف اللفظ مع اللفظ 63
ب- ائتلاف اللفظ للمعنى 64
المشاكلة 65
أ- تحقيق 66
ب- التقدير 67
المطابقة "المقابلة" 68
الطباق المعنوي 70
الطباق الخفي 70
نماذج من التناسب في السورة 73
التناسب بين الأيات في السورة 74
1-التناسب بين الآية وما قبلها وما بعدها 78
2-التناسب بين فواتح السور وخواتمها 78
التناسب بين افتتاح سورة يوسف واختتام سورة هود 80
خاتمة 84
قائمة المصادر والمراجع 86
فهرس الآيات القرآنية 94
فهرس الموضوعات 100
ملخص

الملخص:

تتناول مذكرتنا موضوع التناسب في القرآن الكريم وقد تم التركيز على الجانب التركيبي ودراسة بعض من البدائع ولطائفها في القرآن الكريم وتحديد علاقتها بالتناسب وأخذنا بعض نماذج من التناسب بين سور القرآن الكريم و في السورة الواحدة مستعينين في ذلك بكتاب الاتقان في العلوم القرآن الكريم لجلال الدين السيوطي أنموذج مبينين لأهمية علم المناسب في إظهار إعجاز القرآن الكريم مثبتين لجماليته ودلالته في علم البلاغة مجتهدين لاستخراج بعضا من أسرار نظم كلام الله عز وجل وترتيب آياته وسوره وتوافقهم بهذا الشكل العجيب.

الكلمات المفتاحية: التناسب، التراكيب، البدائع، الإعجاز، البلاغة.

Abstract :

Our note deals with the issue of proportionality in the Noble Qur'an. Emphasis has been placed on the compositional aspect, studying some of the innovations and their subtleties in the Noble Qur'an and determining their relationship to proportionality. We took some examples of proportionality between the Holy Qur'an surahs and in one surah with the help of the book of mastery in science, the Noble Qur'an by Jalal al-Din al-Suyuti as a model. Demonstrating the importance of proper knowledge in showing the miracle of the Noble Qur'an, confirming its aesthetics and its significance in the science of rhetoric, striving to extract some of the secrets of the systems of the words of God Almighty and arranging His verses and surahs, and their compatibility in this amazing way.

Key words: proportionality, compositions, innovations, miracles, rhetoric.